

منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم

أحمد عادل كمال

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة: القاهرة: ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف: ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع الأزهر: ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف: ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع مدينة نصر: ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف: ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع الإسكندرية: ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا: القاهرة: ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى
بين الأمس واليوم

الموقع :

تمتد هذه البلاد التي نحن بصددها حوالي ٤٠ خطًّا من خطوط الطول ، ٨٥ خطًّا من خطوط العرض ، وبتحديد أكثر هي فيما بين خط طول ٤٨ شرقًا إلى ٨٨ شرقًا ، وفيما بين خط عرض حوالي ٣٦ شمالًا إلى خط عرض ٥٥ شمالًا ، وجميعها شرقي بحر الخزر [قزوين] ؛ وبذلك لا يشمل بحثنا هذا جورجيا وآذربيجان شمال تركيا وإيران غرب ذلك البحر . فإذا لاحظنا أن قارة آسيا تمتد فيما بين ٢٥ شرقًا إلى حوالي ١٤٥ شرقًا ، ومن خط عرض ١٠ جنوبًا إلى ٧٥ شمالًا ، فإن هذه البلاد التي نقول عنها جغرافيًّا إنها أواسط آسيا في الواقع وحسابيًّا هي

تنزاح عن الوسط بعض الشيء إلى الغرب [حوالي ١٧ خطًا] .

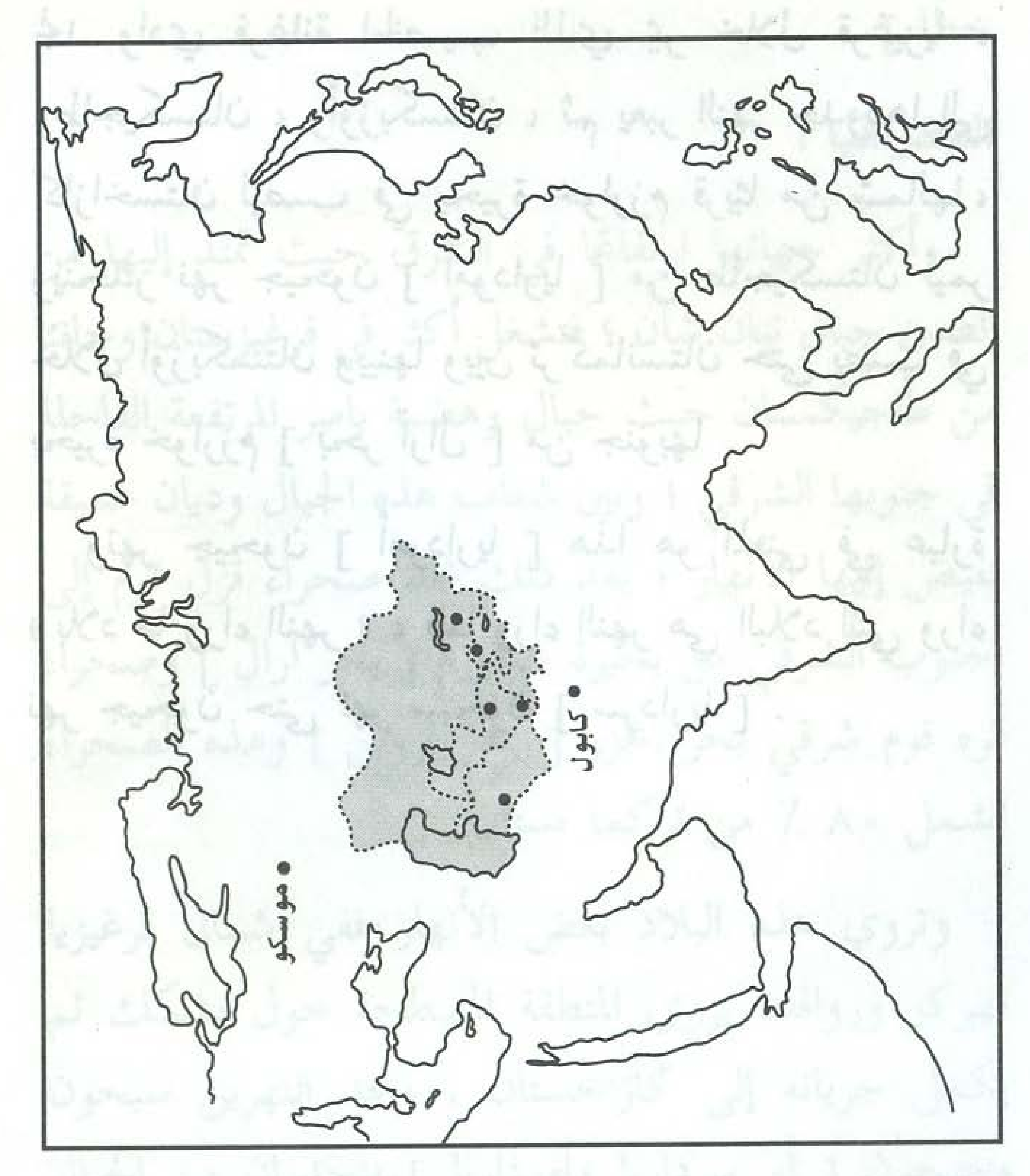
الجغرافيا :

وأكثر جهاتها ارتفاعًا في الشرق حيث تمتد إليها من الصين جبال تيان شان ؛ فتشغل أكثر في قرغيزستان وجانبًا من طاجيكستان حيث جبال وهضبة بامير المرتفعة القاحلة في جنوبها الشرقي ؛ وبين شعاب هذه الجبال وديان عميقة تفيض إليها الأنهار ؛ بعد ذلك نجد صحراء قزل قوم إلى الجنوب الشرقي من بحيرة خوارزم [بحر آرال] وصحراء قره قوم شرقي بحر الخزر [بحر قزوين] وهذه الصحراء تشمل ٨٠ ٪ من تركما نستان .

وتروي هذه البلاد بعض الأنهار ففي شمال قرغيزيا نهركو وروافده يروي المنطقة المسطحة حول بشكك ثم يكمل جريانه إلى كازاخستان . ونجد النهرين سيحون وجيحون [أو سرداريا وأموداريا] ينحدران من الجبال ويَصُبان في بحيرة خوارزم [بحر آرال] ويهيئان نظامًا

للري في الأراضي التي يمران بها ، فعلى حوض سرداريا نجد وادي فرغانة الخصيب الذي يمر خلال قرغيزيا ، وطاجيكستان ، وأوزبكستان ، ثم يعبر النهر حدودها إلى كازاخستان ليصب في بحيرة خوارزم قريبًا من شمالها ، وينحدر نهر جيحون [أموداريا] من طاجيكستان ليمر خلال أوزبكستان وبينها وبين تركمانستان حتى يصب في بحيرة خوارزم [بحر آرال] من جنوبها .

ونهر جيحون [أموداريا] هذا هو المعنى في عبارة « بلاد ما وراء النهر » ، فما وراء النهر هي البلاد التي وراء نهر جيحون حتى نهر سيحون [سرداريا] .



موقع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى

جغرافيا بشرية :

وهناك وجه شبه بين الحياة الأولى لجذور تلك الشعوب وبيننا نحن العرب ، فقد كانوا في جملتهم قبائل من الترك الرحل يروحون ويجيئون على تلك الرقعة الشاسعة ؛ عملهم الرعي كما كانت القبائل العربية على صحراء وجبال شبه جزيرة العرب ، وبطبيعة الحال ومع توالي الأجيال بتشعب النسل إلى قبائل ، وتتضخم القبائل إلى شعوب كما تتفرع كل قبيلة داخلها إلى بطون ، ويتركز كل قوم حول منطقة معينة تصير هي حماها ، فكان أبرز هؤلاء كالآتي :

- الأتراك الغُذِّيَّة حول بحيرة بلكاش وامتدت منازلهم إلى شمالي بحيرة خوارزم ، ضمن ما هو الآن قرغيزستان ، وكازاخستان ، وقد عاش القرغيز حول أعالي نهر ينيسي jenisei ولكنهم هاجروا قبل عام (١٦٠٠) م إلى ما يعرف الآن بقرغيزيا ، والقرغيز شعب مغولي مسلم .

- الصُّغْد والأوزبك : وهم بقية من القبيلة الذهبية [من

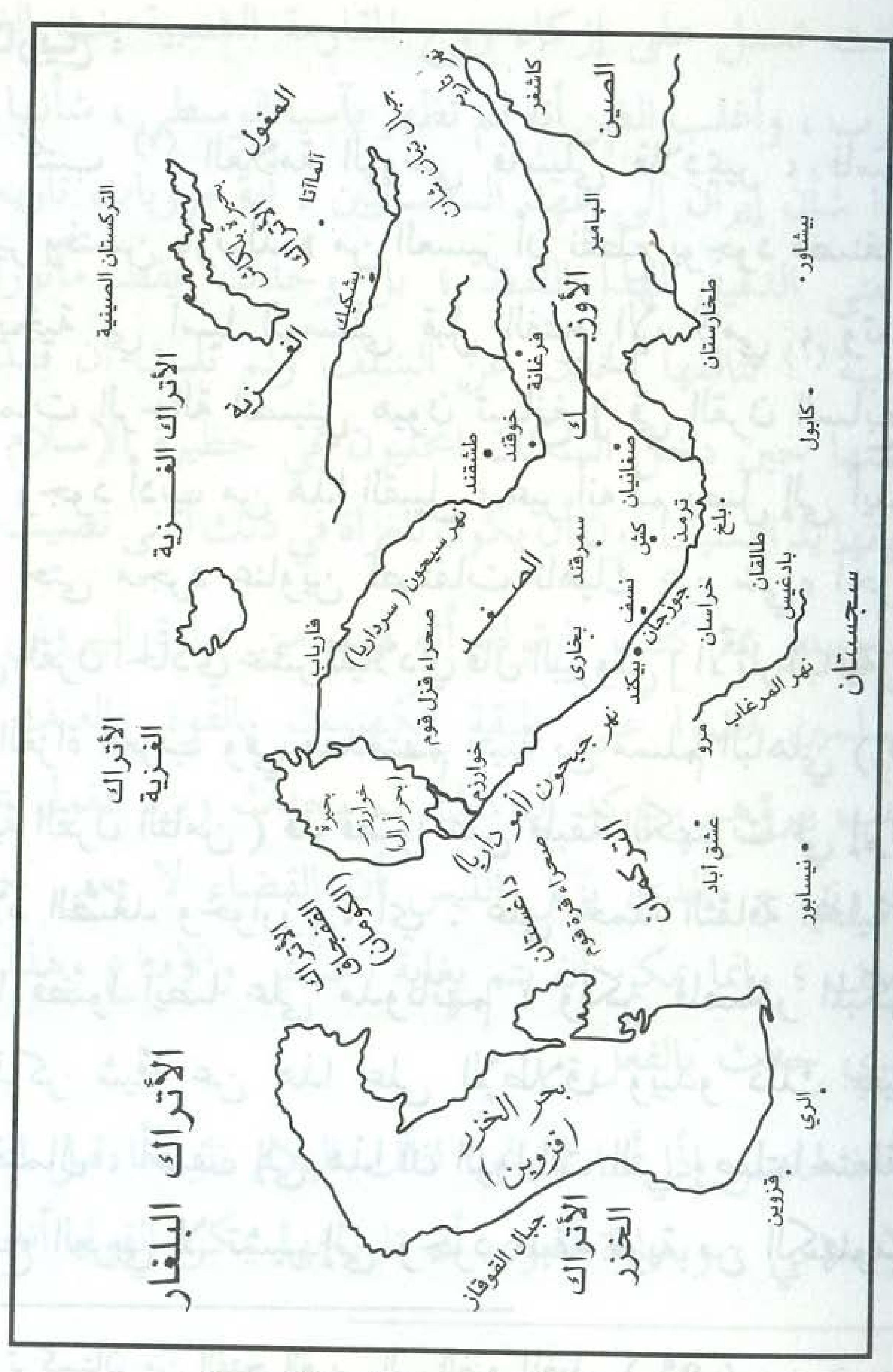
المغول] في القرن السادس عشر وقد نزلوا من نهر تاريم إلى وادي فرغانة إلى ما بين نهري سيحون وجيحون [سرداريا وأموداريا] ضمن ما هو الآن أوزبكستان ، وطاجيكستان .

- الأتراك القفجاق : فيما بين بحيرة خوارزم [بحر آرال] إلى بحر الخزر [قزوين] فيما هو الآن كازاخستان وبعض أوزبكستان .

- الأتراك البُلغار : شمالاً فيما بين بحر الخزر [قزوين] وبحر بنطش [الأسود] ضمن ما هو الآن أوكرانيا .

- الأتراك الخزر جنوب السابقين بين بحر قزوين والبحر الأسود في منطقة القوقاز ضمن ما هو الآن آذربيجان .

- التركمان : وهو شعب مُسلم يتكلم اللغة التركية فيما يُعرف الآن بتركمانستان وقديمًا بداهستان .



الممالك الإسلامية بآسيا الوسطى

التاريخ :

كتب [١] العلامة الروسي فاسيلي فلاديمير ، فاسيلي ديمير وفتسن بارتولد « من العسير أن نقطع بوجود مصنفات تاريخية في آسيا الوسطى قبل الفتح الإسلامي ، وتشير كلمات الرحالة الصيني هيون تسانغ [في القرن السابع] إلى وجود أدب من هذا القبيل ، غير أنه لم يصل إلى أيدينا منه حتى مجرد عناوين لمصنفات ناهيك عن شيء آخر ، وفي القرن الحادي عشر الميلادي قال البيروني [الآثار الباقية] : إن الغُزاة العرب وفي مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلي (في بداية القرن الثامن) قد قضوا على طبقة الكهنوت في إيران وبلاد الصُّغْد وخوارزم ، أي : على حملة الثقافة المحلية ، كما قضوا أيضًا على مدوناتهم ، ولكن المصادر المبكرة لا تذكر شيئًا عن هذا على الإطلاق ويبدو ذلك بعيد الاحتمال ، أضف إلى هذا أن الروايات التي وصلتنا متعلقة بالفتح العربي لا تشير إلى وجود طبقة قوية من الكهنوت

---

(١) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي (٥٩) .

كانت تعمل على إزكاء روح المقاومة الشعبية ضد الغزاة العرب ، وأغلب الظن أنه لم تظهر بآسيا الوسطى ، شأنها في هذا شأن إيران إلى عهد الساسانيين ، أية مرويات تاريخية بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ؛ بل وجدت فقط مأثورات شعبية [١] تناقلها الخَلف عن السَلف ولم تلبث أن فقدت قيمتها حين دخل السكان المحليون في حظيرة الإسلام ثم طوتها يد النسيان دون أن يكون للغزاة في ذلك أدنى نصيب » .

ويبدو مما كتب بارتولد أنه فهم من عبارة البيروني أن المسلمين قضوا على طبقة الكهنوت بالقوة والعنف ثم ذهب يبرؤهم ويؤكد أن ذلك لم يحدث ويرد القول على البيروني ، والذي يزيل اللبس أن القضاء لا يعني حتمًا العنف ؛ وإنما يمكن أن يتم بغاية الحُسنَى والإقناع وهذا هو الذي حدث بالفعل .

فالحاصل إذًا أننا لا نجد لتلك البلاد تاريخًا قبل الفتح الإسلامي ، وبعبارة أخرى أن تاريخها يمكن القول أنه بدأ

---

(١) كما هو الحال بين قبائل وسط وغرب أفريقيا .

بفتح المسلمين ودخولها دولة الإسلام .

ولقد كانت آسيا الوسطى موطنًا لقبائل من الأتراك ، شمالي خط عرض ٤٠ْ شمالًا ، وفيما بين خط طول ٣٠ْ شرقًا إلى خط طول ٨٠ْ شرقًا أو بعده ، وفي ذلك جاء في « أطلس تاريخ الإسلام » .

« بسط المسلمون نفوذهم إلى جميع بلاد إيران من الحدود الشرقية للعراق إلى حوض السند وإلى فرغانة ، وامتد إلى بلاد ما وراء النهر وإلى ما يليه شمالًا إلى بلاد الترك القرخانية في التركستان الصينية في حوض التاريم وبحيرة بلكاش ؛ حيث المواطن الأولى للأتراك الغزية وهم أكبر وأكثر الأتراك أثرًا في تاريخ الإسلام ، فكان منهم الأوزبك والسلاجقة والعثمانيون ومعظم المماليك ، وكان منهم الهياطلة أصحاب طخارستان الذين دخلت بلادهم دولة الإسلام فدخلوا فيه ، وكانت هضبة إيران قبل الإسلام قسمة بينهم وبين الإيرانيين فكانت تعرف باسم بلاد توران وإيران ، وكان الإسلام هو الذي أزال الحواجز

بين العنصرين . كما وأن الإسلام هو الذي أدخلهم التاريخ وعالم الحضارة ، وأول دولة كانت لهم كانت دولة الغزنويين [القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي] ويليهم في الأهمية الأوزبك الذين استقروا في بلاد ما وراء النهر ، ثم الغوريون في جنوب شرق الهضبة وفي موضع أفغانستان اليوم .

ويلي الأتراك الغزية من جهة الغرب شمال تركستان منازل الأتراك القفجاق ثم الترك الخزر شمالي البحر الأسود وفي جزيرة القرم ، ويليهم الأتراك البلغار جنوبي حوض نهر الطونة ، وإلى شمالهم البشناق ثم الأتراك الأيغور (الأويراتية) .

أما المغول فكانت منازلهم من حوض التاريم وبحيرة بلكاش إلى صحراء جوبي وصحراء منغوليا حتى سور الصين ؛ وكانوا قطعانًا ضخمة تعيش في خيام من شَعْر الماعز . ويلي ذلك شرقًا ؛ شعوب الصين إلى المحيط الهادي .

وراحت هذه الشعوب التركية تدخل بلاد الإسلام

وتتحضر ولكن جماعات المغول كانت تدفعها شرقًا وكانوا يعيشون في سلام حتى قيام دولة خوارزم شاه فاستثارت جنكيزخان فسار بالمغول غربًا وغَزا بلاد الأتراك والإيرانيين والعرب وقضى على الخلافة العباسية في بغداد (عام ٦٥٦هـ ، ١٢١٨ م) [١] .

ولكن أسلم جانب كبير من المغول ، وبدءًا من عهد تيمور لنك حفيد جنكيزخان اتخذوا سمرقند عاصمة لهم .

وبفضل الإسلام انتقل الأتراك والمغول من البداوة إلى الحضر ، ولكن ظل التتار - وهم قبيل قائم بذاته من المغول - بدوًا لم يتحضر منهم إلا من دخل الإسلام وانتقلوا إلى الغرب ، أما سائر التتار من البدو فكانت أمامهم بلاد سيبريا .

تلك الشعوب التي دخلت الإسلام هي التي تولت نشره شرقًا في غرب الصين ، وفي الهند ، وفي بلاد ما وراء النهر، وآسيا الوسطى ، وروسيا ، وسيبريا .

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام (ص ٢٣١) .

مع الفتوح الإسلامية :

ولم تكن فتوح تلك البلاد بالأمر الْهَيِّنْ فقد كان على المسلمين كي يصلوا إليها أن يعبروا على ميراث الدولة الساسانية في إيران . « ولم تكن فارس قبل الإسلام دولة ذات حدود [1] ثابتة ، إنما كانت حدودها تتسع أحيانًا وفقط في عصور الملوك الأقوياء ولكنها كانت تنقبض في عصور الضعفاء وكانوا هم الأكثر . وكان عماد القوة العسكرية للدولة جماعات مرتزقة من قبائل تركية إلى جانب الجيوش الإيرانية ذاتها » ويبدو أن أولئك المرتزقة كان استخدامهم في المناطق الشرقية فقط ، فلم نشهد منهم أحدًا في معركة القادسية مثلًا ، ولا ورد لهم ذكر في معارك فتح الدولة الساسانية ، اللهم إلا آخر المطاف حين بلغ يزد جرد الثالث مرو واستنجد بهم فكانت نجدة لم تبلغ به ما أراد . ويذكر د . حسين مؤنس أن الأكاسرة كانوا يُسلِطُون هؤلاء الجماعات المقاتلة لإرهاب الأهالي

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام (٤٩) .

وإرغامهم على أداء الجزية والإتاوات وأن هذا كان يحدث في الولايات الشرقية مثل طوران وبلاد الصُّغْد شرقي ما وراء النهر .

ونضع هنا التواريخ لأهم أحداث تقدم المسلمين نحو هذه البلاد :

التاريخ		المعركة	القائد
الهجري	الميلادي		
١٦ شعبان ١٥ هـ	٢٢ سبتمبر ٦٣٦م	حسمت معركة القادسية	(سعد بن أبي وقاص)
صفر ١٦ هـ	مارس ٦٣٧ م	سقطت المدائن	
جمادى الأولى ١٦ هـ	يونية ٦٣٧ م	سقطت تكريت الموصل ونديوني وهيث وقرقيسياء	عبد الله بن مالك بن المعتم
			عمر بن مالك بن عتبة
		ماسبذان	ضرار بن الخطاب
شعبان ١٦ هـ	سبتمبر ٦٣٧ م	شط العرب	عتبة بن غزوان

١ ذي القعدة ١٦ هـ	٢٤ نوفمبر ٦٣٧ م	جلولاء ، ثم حلوان ثم تطهير	هاشم بن عتبة
١ ذي القعدة ١٧ هـ		الأهواز	سلمى بن القين وحرملة بن مريطة
ذو الحجة ١٧ هـ	ديسمبر ٦٣٨ م	الجزيرة	عياض بن غنم
		أرمينيا	عثمان بن أبي العاص الثقفي
١٦ محرم ١٩ هـ	١٥ يناير ٦٤٠ م	نهاوند [فتح الفتوح] همذان [استسلاما] ثم انتقاضات	النعمان بن مقرن
٢١ هـ	٦٤٢ م	أصبهان [عاصمة الجبال]	
		من الكوفة	عبد الله بن عتبان
		ومن البصرة	أبو موسى الأشعري
٢٢ هـ	٦٤٣ م	الري [من همذان] ثم قومس وجرجان وطبرستان [من قاعدة الكوفة]	
		آذربيجان	بكير بن عبد الله عتبة بن فرقد + سماك بن

			خرشة من الري
		الباب [بعد آذربيجان]	عمر بن سراقة
		قومس [صلحا]	سويد بن مقرن
		جرجان [صلحا]	سويد بن مقرن
		طبرستان [صلحا]	سويد بن مقرن
٢٣ هـ	٦٤٤ م	جولة حول بحر قزوين	عبدالرحمن بن ربيعة

وتتعدد روايات سني الفتوح لنواحي الدولة الساسانية ؛ والسبب في ذلك أنها فتحت أكثر من مرة ، فبعد انهيار الدولة الساسانية والقضاء على جيشها في نهاوند صارت بلادًا بلا دفاع تخوص فيها جيوش المسلمين كيف شاءت ، ولكن تلك الجيوش كانت قليلة العدد جدًّا بالنسبة لما أوغلت فيه من أراض ، ولذلك نجد عملياتها حتى عام ٢٩هـ كانت غارات واتفاقيات صُلح هي بمثابة استسلام من الأهالي أكثر منها إقامة نظام ودولة .

وكانت للمسلمين قاعدتان حربيتان في ولايتي الكوفة

والبصرة ، فاختصت قاعدة الكوفة بفتوح الشمال وهو الشمال الغربي لإيران ، وأرمينيا ، وآذربيجان مع بعض المساعدات لعمليات قاعدة البصرة ، بينما حملت البصرة عبء فتوح الشرق ونعني به كرمان ، ومكران ، وسجستان والشمال الشرقي ونعني به خراسان وبلاد ما وراء النهر .

فلما تولى عبد اللّٰه بن عامر بن كريز ولاية البصرة عام (٢٩ هـ) في خلافة عثمان بن عفان أحدث تغييرًا في استراتيجيات الفتوح بحيث تصير فتحًا دائمًا مستقرًّا بدلًا من أن تكون غارات خاطفة ؟ . وقد تمكن من فتح جميع خراسان فتحًا مستقرًّا حتى نهر المرغاب الذي كان الحد الفاصل بين الإيرانيين والترك ، ثم عبر المسلمون نهر المرغاب وواجهوا الترك ؟ وكانت مراكزهم في الجوزجان ، والفارياب ، والطالقان ، والصغانيان .

غزوات قبل قتيبة:

وفي عام (٥٣ هـ) ، (٦٧٣ م) عُيِّنَ عبيد اللّٰه بن زياد بن أبيه واليًا على الكوفة والبصرة معًا ، فعبر بجيوشه

نهر جيحون عام (٥٤ هـ) ، (٦٧٤ م) وغزا بيكند وبخارى من بلاد الصغد ، وقبل منهم الجزية وعاد إلى البصرة .

وخلفه على ولاية خراسان سعيد بن عثمان بن عفان (٥٥ هـ) فقاد حملة كبيرة داخل بلاد الصُّغْد واجتاز باب الحديد وفتح ترمذ وكانت مدينة حصينة على نهر جيحون فسيطر على الطريق الرئيسي من خراسان إلى ما وراء النهر .

وفي عهد يزيد بن معاوية أقام سالم بن زياد واليًا على خاسان ، وسجستان (٦١ هـ) ، (٦٨١ م) وأمره بالقيام بفتوح أخرى فسار من البصرة بجيش كبير وفتح بخارى وسمرقند بعد مقاومة عنيفة .

وتوقفت الفتوح أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير والأمويين ، وفي عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك اعتمد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق على المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي ، فكان المهلب عاملًا للحجاج على خراسان عام (٧٨هـ) ،

(٦٩٧ م) فقام وأولاده بفتوح واسعة فيما وراء النهر وقاد حملة احتلت مدينة كش في إقليم الصُّغْد ، وفتح ابنه يزيد قلعه : نيزك بإقليم بادغيس ، واضطر ملك الختل إلى دفع الجزية ، كما غزا خوارزم . ومات المهلب (عام ٨٢ هـ) ، (٧٠١ م) .

قُتَيْبَة بن مسلم :

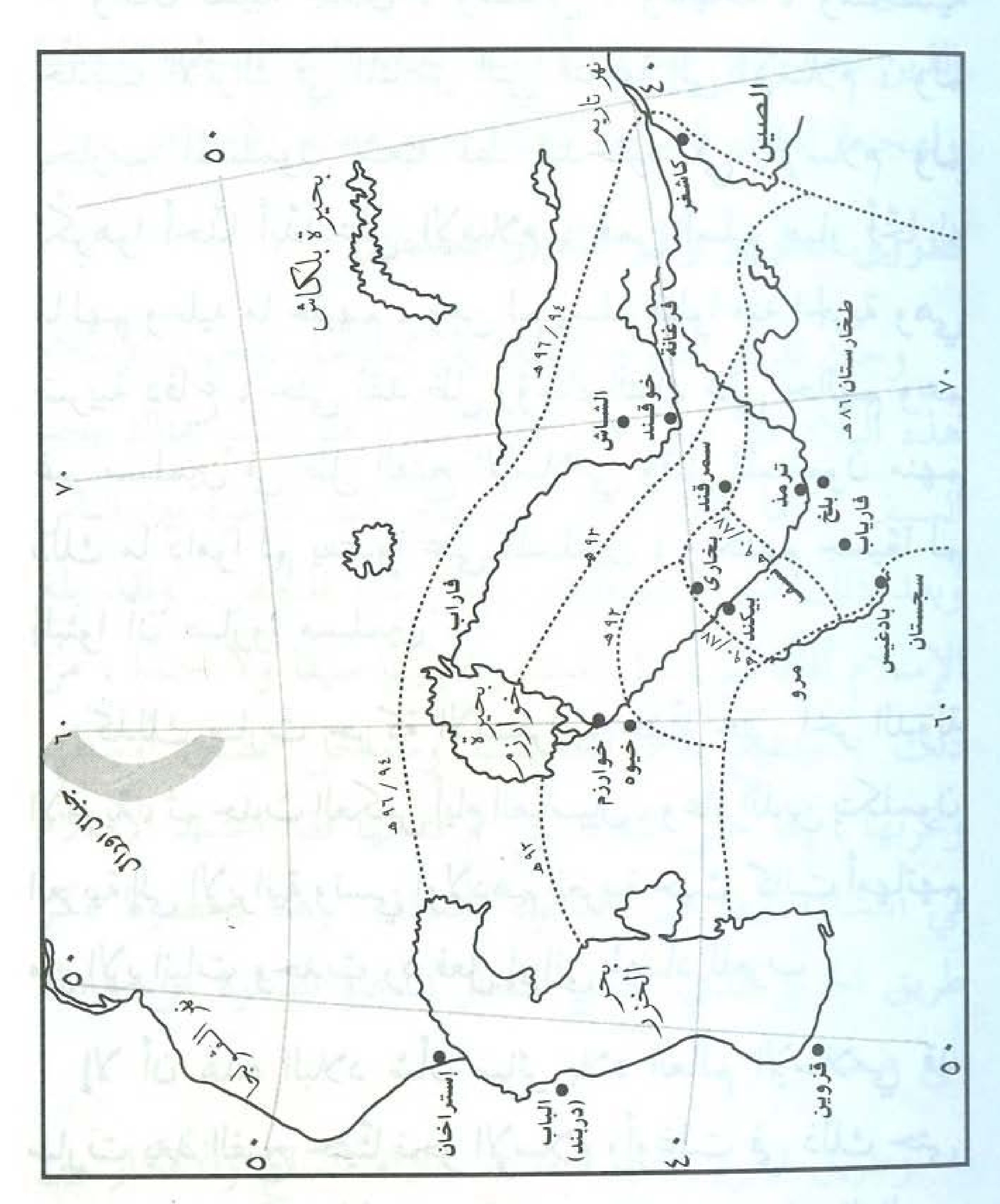
وفي عام (٨٦ هـ) ، (٧٠٥ م) تولى قتيبة بن مسلم من قِبَل الحَجاج على خراسان حتى عام (٩٩ هـ) ، (٧١٧ م) ، فكانت أمامه الفرصة لاستطراد الفتوح ونظرًا للظروف الجغرافية للمنطقة من ناحية طبيعة الأرض والمناخ فقد رسم قتيبة خططه للفتح على أساس برنامج وخطة عمل لإنجاز عمل محدد بذاته لكل موسم ، وكانت مواسم العمل هي الربيع ، والصيف مع الركون خريفًا وشتاءً ، وكانت عمليات قتيبة على أربع مراحل أنجز في كل مرحلة فتح منطقة كبيرة فتحًا نهائيًا ثابتًا .

١ - طخارستان السفلى ، مكان أفغانستان اليوم ، استعادها (٨٦ هـ) ، (٧٠٥ م) .

٢ - حملة كبيرة على بخارى فأتم فتح بيكند ، ثم تومشكت وراميثه من نواحي بخارى وأخيرًا جميع إقليم بخارى نهائيًا (٨٧ - ٩٠ هـ) ، (٧٠٦ - ٧٠٨ م) .

٣ - وادي جيحون كله [نهر أموداريا] (٩١ هـ) وجميع سجستان (٩٢ هـ) ، (٧١٠ م) ثم إقليم خوارزم (٩٣ هـ) ، (٧١١ م) وضم سمرقند نهائيًا إلى دولة الإسلام .

٤ - حوض نهر سيحون [سرداريا] بما فيه من مدن إلى نهاية فرغانة ٩٤ هـ - ٩٦ هـ) ، (٧١٢ - ٧١٤ م) . ثم دخل أرض الصين (٩٦ هـ) وأوغل في مقاطعة سنكيانج وجعل من كاشغر قاعدة إسلامية ، وهذا آخر ما وصلت إليه جيوش المسلمين شرقًا .



مراحل توسع الفتوح الإسلامية

وكان لقتيبة جلال ، وفضائل ، وشهامة ، وشخصية جذبت الأتراك في المناطق التي فتحها إلى الإسلام ، ولم يحارب المسلمون شعبًا قط ليدخلوه في الإسلام ولم يُكْرِهوا أحدًا أبدًا على الإسلام ، فمن أسلم صار أخًا له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن لم يسلم قبلوا منه الجزية وهي ضريبة دفاع ، حتى لقد ظل رؤساء الترك على حالهم وهم غير مسلمين في ظل الفتح الإسلامي وقَبِل المسلمون منهم ذلك ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ، ولكنهم جميعًا لم يلبثوا أن صاروا مسلمين .

كذلك سارت حركة الاستعراب حثيثًا حتى آخر الدولة الأموية ، ثم حدث العكس أيام العباسيين ، وعاد الذين يتكلمون العربية إلى الإيرانية ونسي أولادهم العربية حيث كانت أمهاتهم من الإيرانيات وحدث رد فعل إيراني مُضاد للعرب .

إلا أن هذه البلاد شأن سائر بلاد العالم الإسلامي قد سارت بعد الفتح حثيثًا نحو الإسلام وأوغلت في ذلك حتى صارت من مراكز الإشعاع العلمي والحضاري في العالم ،

وحتى صار رجالها هم عماد جيوش المسلمين وفُرسانها الذين تصدوا في الشرق الأوسط للحملات الصليبية المتعاقبة ولهجمة المغول الشرسة العنيفة على العالم الإسلامي .

طريق الحرير وأثر التجار المسلمين :

وحين نذكر الفتوح الإسلامية كمدخل لدخول الإسلام هذه البلاد فلا يعني هذا أن الإسلام قد انتشر هناك بحد السيف ، إنما كان الغرض هو فتح باب الدعوة بين الناس وبعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ولقد بلغ الإسلام آفاقًا لم يرسل المسلمون إليها سيفًا ولا جندًا ، من ذلك : جميع بلاد إندونيسيا وسواحل الصين أوسطها وغربها ، إنما حتى البلاد التي تم فتحها فقد اعتمد الإسلام في انتشاره فيها على الدعوة المجددة . وهنا يحضرنا ذكر طريق الحرير الذي حمل التجار الدعاة الدعوة من خلاله إلى ضفافه .

وطريق الحرير قديم انتقلت خلاله السلع والأفكار بين حضارتين : الصينية في المشرق ، والحضارة الرومانية في

الغرب ؛ فكان الحرير ينتقل من الشرق إلى الغرب ، كما كان الصوف والذهب والفضة تنتقل من الغرب إلى الشرق ، وكان الأهم من ذلك انتقال العقائد والأفكار . ومن العجيب أن تذكر دائرة المعارف البريطانية انتقال النسطورية والمسيحية بل والبوذية من الغرب إلى الصين عبر طريق الحرير ، ولم تذكر انتقال الإسلام على هذه الطريق .

كان طريق الحرير يبدأ من شيان في الصين ثم يمتد غربًا مسافة ٦٤٠٠ كيلو مترًا فيبدأ من شيان إلى لانشو ثم ووى ويساير سور الصين العظيم مسافة ويتجه إلى دونهانغ ثم يعبر صحراء تكلا مكان ويصعد مرتفعات البامير ويعبر أفغانستان إلى الشرق الأدنى ، ومن هناك تشحن البضائع عبر البحر الأبيض المتوسط . ويبدو أنهم كانوا قليلين جدًّا الذين استطاعوا عبور هذا الطريق بأكمله ، وربما لم يتيسر ذلك لأحد ، إنما كان يتم تداول البضائع بين المناطق . وتذهب دائرة المعارف البريطانية إلى أن هذا الطريق صار مهجورًا وغير مأمون بانحسار الامبراطورية الرومانية وصعود

المسلمين إلى الساحة وأنه قد أعيد إحياؤه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر على أيدي المغول ، وإذا صح هذا فنذهب إلى أن هجر الطريق إنما كان بسبب أن المسلمين فتحوا الطريق البحري بديلًا عنه بين الصين والشرق الأقصى وبين الغرب .

أما الآن فقد صار الطريق جزئيًا وإلى حد ما طريقًا دوليًا مرصوفًا يصل بين باكستان وسنكيانج ومناطق أوغور ذات الحكم الذاتي والصين . وتتبنى الأمم المتحدة خطة لتطوير الطريق حتى يصير أوتوسترادًا يعبر آسيا .

مكان على خريطة الإسلام :

لقد ساهمت هذه البلاد بفاعلية متميزة في خدمة علوم الإسلام . فكما نعلم فإن المصدر الأول للشريعة الإسلامية هو القرآن الكريم ويليه المصدر الثاني وهو الحديث الشريف ، القرآن الكريم تكفل الله ﷻ بحفظه حيث قال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] أما الحديث فمنذ زمن مبكر راح اليهود وغيرهم من ذوي

الأغراض يدسون فيه ما ليس منه فكان على المسلمين أن يحفظوه ، ولولا أن هب من علماء المسلمين وأئمتهم من يدرسون الحديث ويؤسسون علومه ليميزوا بين صحيحه وضعيفه وموضوعه ، لقد كان في خطر عظيم ، حتى نستطيع القول بأن الجهد الذي بذل في دراسة الحديث لعله فاق الجهد الذي بذل في دراسة القرآن الكريم ، وهنا لا نستطيع ولا يستطيع أحد أن يعبر فوق هذه الحقيقة دون أن يذكر إمام أئمة هذا العلم الجليل الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برداذبة وهو البخاري ينتسب إلى بخارى من أوزبكستان اليوم ، ولد (١٩٤ هـ) وتوفي (٢٥٦هـ) وهو أول من سن الرحلة في طلب الحديث ودرس علم الرجال وحدد الضوابط لتعديلهم أو تجريحهم وصنف أصح كتاب بعد كتاب الله تبارك وتعالى ولو لم يكن لبخارى وأوزبكستان وآسيا الوسطى كلها غير الإمام البخاري لكفاها فخرًا .

كذلك الإمام الترمذي صاحب كتاب الصحيح من

تلاميذ البخاري هو محمد بن عيسى بن سَوْرَة ولد (٢٠٠هـ) وتوفي (٢٧٩ هـ) وكان شيخًا ضريرًا من مدينة ترمذ بخراسان وهي الآن في طاجيكستان قريبًا من حدودها مع أفغانستان وأوزبكستان وكان الاهتمام بدراسة الحديث ينصرف إلى دراسة الصحيح ودراسة الضعيف ؛ فكان الترمذي هو الذي أشهر الحديث الحسن الذي لم يرتفع إلى أعلى مستويات الصحيح ولم ينخفض إلى الضعيف فحفظ طائفة كبيرة من حديث النبي ﷺ يعمل بها وتصلح للاعتداد ، ومن خراسان أيضًا النسائي أحمد ابن شعيب ، ولد (٢٢٥ هـ) وتوفي (٣٠٣ هـ) وهو صاحب كتاب المجتبى في الحديث .

هؤلاء الأجلاء يقفون ضمن مجموعة علماء الحديث الأول التي يكملها الإمام مسلم [من نيسابور إيران] وأبو داود [من سجستان] وابن ماجه [من قزوين] والإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك بن أنس [من العرب] .

ولم تكن علوم الحديث فقط أو حتى العلوم الشرعية على اتساعها هي وحدها التي أضاءت على العالم من البلاد الإسلامية بوسط آسيا إنما أيضًا ساهمت في علوم الدنيا التي أعطت المسلمين اتساعًا في أفضالهم العلمية على العالم مثل العلوم الرياضية ، فعلى سبيل المثال عجز علم الحساب عن معالجة بعض المشكلات حتى ظهر الخوارزمي [محمد بن موسى] من خوارزم بتركستان [تركمانستان اليوم] توفي بعد (٢٣٢ هـ) ، (٨٤٦ م) ، كان هو الذي وضع الأساس الأول لعلم الجبر واستخدام المعادلة الرياضية واستخدام الأرقام لأول مرة في عمليات الضرب ، والقسمة ، والجمع ، والطرح ، وهو الذي أبرز ترتيب الأعداد في خانات [آحاد ، وعشرات ، ومئات .. إلخ] الذي هو أساس النظام العَشْري ، ووضع قواعد التعامل مع الأعداد السلبية في المعادلة الجبرية ، ولم يقتصر الخوارزمي في استخدامه الجبر في حل المسائل الحسابية فقط بل استخدمه أيضًا في حل مسائل هندسية ، وعيَّن النسبة التقريبية بدقة كبيرة ، وألَّف كتاب « الجبر والمقابلة » الذي

ترجم إلى جل اللغات .

وبعد الخوارزمي كان البيروني ، ولد في بيرون قريبًا من كاث عاصمة خوارزم عام (٣٦٢ هـ) ، (٩٧٣ م) وعاش حتى (٤٤٢ هـ) ، (١٠٥٠ م) فكان رائدًا في الرياضيات ، والفلك والجغرافيا ، واستعمل الأصفار لمقام الخانات وبحث في الثقل النوعي للمعادن ، والأحجار الكريمة بدقة ودلل على كروية الأرض ، ووضع نظرية لحساب محيط الأرض ، وكان أول من استخدم النسب المثلثية وإيجاد زاوية ميل محور الأرض على مسارها حول الشمس وتحديد الوقت وتعيين خطوط الطول والعرض للبلدان ، وابتكر أسلوبًا لتحديد القبلة دون اعتماد على حسابات مُعقدة .

وباختصار يمكن القول أن تركستان كانت مركز الثقل العلمي والثقافي في العالم الإسلامي ؛ بل والعالم كله فيما بين القرن الثالث إلى الخامس الهجري [التاسع إلى الحادي عشر الميلادي] .

استقرت السلطة للمسلمين حتى حوض السند جنوبًا وفرغانة شمالًا وإلى ما وراء النهر وحتى بلاد الترك القرخانية في التركستان الصينية بما فيها حوض نهر التاريم وبحيرة بلكاش ، وهذه البلاد هي المواطن الأولى للأتراك الغزية ومن بعدهم كانت منازل المغول من حوض التاريم وبلكاش وتمتد شرقًا حتى سور الصين ؛ وذلك إلى أن تمكن جنكيزخان من اجتيازه وغزو الصين .

وكان نهر المرغاب هو الحد بين الفُرس والترك وأقربهم الترك الغزية كما ذكرنا وهم أكثرهم عددًا وأبعدهم أثرًا في تاريخ المسلمين فمنهم السلاجقة ، والعثمانيون ، والأوزبك ، وأكثر المماليك بعد ذلك .

تلك البلاد كانت تابعة لسلطان المسلمين في عهد الدولة الأموية ثم العباسية ، وفي بعض الأحيان وجدنا أربعة ولاة في آن واحد بما يعني أنها كانت أقسامًا إدارية متعددة ، مثال ذلك أن الخليفة المأمون ولّي عام (٢٠٤ هـ) ، (٨١٩ م) أربعة إخوة وهم : نوح بن أسد على سمرقند ، وأحمد بن أسد على

فرغانة ويحيى بن أسد على الشاش [طشقند] وأسروسنة ، والياس بن أسد على خراسان .

وبالتدريج دخلت تلك القبائل في الإسلام كما راحت تهجر البداوة وتتحضر . وبدءًا من عام (٣٠١ هـ) (٩١٣ م) قامت الدولة السامانية ، وكان القرخانية مسلمين متحمسين فَعمَّروا بخارى وسمرقند وبلاد الصُّغْد ، والصغانيان ، وبلاد ما وراء النهر ، بنوا فيها المساجد ، وذلك قبل قيام الدولة الغزنوية ؛ فكانوا أول دولة تركية إسلامية ظهورًا ، ثم انتظموا في خانيات مثل : بخارى ، وسمرقند وخيوة في بلاد خوارزم . وكان الأوزبك هم أقوى قبائلهم فكانوا أكبر تلك الخانيات في خيوة ، ثم صارت كل خانيات ما وراء النهر أوزبكية وكان ملك كل خانية يسمى الخان .

وكان البلغار شعبًا آخر من أصل تركي يسكن شمالي وشرقي البحر الأسود ، وقد سبق إلى الإسلام من أيام الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) ، (٩٠٨ -

٩٣٢ م) واجتهد البلغار في دعوة الروس إلى الإسلام ؛ ولكن ملكهم فلاديمير كره في الإسلام ؛ أشياء مثل : الخِتان ، وتحريم الخمر ، فمال إلى النصرانية واعتنقها على مذهب الروم الأرثوذوكس عام (٩٨٨ م) ، وتعصب القياصرة الروس فاضطهدوا المسلمين واشتد ذلك في أيام كاترين الثانية فزادت من اضطهادهم وعملت على تنصيرهم بالقوة ، حتى قامت الثورة الشيوعية (١٩١٧ م) فزادت الطين بَلَّة ، وفي أوائل عهد لينين صدر قرار بنقلهم جميعًا إلى سيبريا وتفريقهم فيها فاختفى المسلمون الروس في فيافيها .

وفيما بين (٣٨٩ - ٤٢١ هـ) ، (٩٩٨ - ١٠٣٠ م) فتح محمود بن سبكتكين الغزنوي وهو من الترك بلاد ما وراء النهر ، وثَبَّت أقدام الإسلام فيها وأسقط الدولة السامانية بانتصاره عليها (٣٨٩ هـ) ، (٩٩٩ م) ، ثم اتجه شرقًا فأخضع الأتراك الغزية في منطقة بخارى لسلطانه عام (٤٢٠ هـ) ، (١٠٢٩ م) .

ثم سقطت الدولة الغزنوية التركية أمام السلاجقة الأتراك على أثر هزيمة السلطان مسعود الغزنوي أمامهم قريبًا من مرو (٤٣٢ هـ) ، (١٠٤٠ م) .

وابتداء من القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي ، وحتى الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي - تحرك الترك غربًا حتى سيطروا على كل هضبة إيران والعراق وأطلوا على آسيا الصغرى ، وفي أعقاب الترك تحرك المغُول .

ونفر تتار القرغيز من ذلك العسف فازداد إقبالًا على الإسلام وتمسكًا به ، ودخلت في الإسلام قبائل تمتد مساكنها حتى البحر الأبيض الشمالي ، وعن طريقهم أيضًا وصل الإسلام إلى فنلندا ولكن بصورة سطحية لا فقه فيها .

وكان الأتراك الغزية والقرلوق والكومان ، قد اعتنقوا الإسلام منذ النصف الثاني من القرن (٤ هـ) ، (١٠ م) على أيدي التجار ، والدعاة ، والصوفية . وحين تحرك الغز من مواطنهم إلى نواحي خوارزم عرفوا بالسلاجقة وبسطوا سلطانهم على كل بلاد ما وراء النهر وشرقي إيران ، ثم

كل إيران وبسطوا حمايتهم على الدولة العباسية ، وتولى أمر السلاجقة من (٥١١ - ٥٥٢ هـ) ، (١١١٧ - ١١٥٦ م) سنجر ناصر الدين ، فولّي على خوارزم تركيا من الغز هو قطب الدين محمد بن أنوشتكين ، وبسط هذا سلطانه على سجستان مع ما وراء النهر ، فلما توفي خلفه ابنه أتسز (١١٥٦ م) فاستعان بقبائل القراخطاي المغولية الذين كانوا شرق بحيرة بيكال وكانوا وثنيين ، واستقل عن سنجر السلجوقي ، وامتد سلطان القراخطاي المغول من نهر الينتسي إلى بلخ واضطر أتسز إلى الدخول في طاعتهم حتى مات فخلفه ابنه إيل أرسلان واتخذ لقب خوارزم شاه ، وانتهت الدولة السلجوقية في إيران ، وفي (٥٩٦ هـ) حتى (٦١٧ هـ) ، (١٢٠٠ - ١٢٢٠ م) تولى علاء الدين محمد بن خوارزم شاه بن تكس ، وقد استفز جنكيزخان فسار بالمغول غرباء واكتسح ما أمامه حتى أسقطوا الخلافة العباسية في بغداد وعاثوا في بلاد المسلمين فسادًا وتخريبًا ، ولكن الإسلام أسرهم بعد ذلك بتعاليمه فأسلم جانب كبير منهم وبالرغم من ذلك فإن تيمورلنك

حفيد جنكيزخان وكان قد أسلم إلا أن بلاد المسلمين لم تسلم من تخريبه ، وجعل سمرقند عاصمة له ، وكان أكبر قطعاته ما عرف باسم القطيع الذهبي أو القبيلة الذهبية ، وكانوا هم الذين تولوا من بعد الإيرانيين نشر الإسلام في غرب الصين ، وما وراء النهر ، وآسيا الوسطى ، وروسيا ، وسيبريا .

وفي منتصف القرن (١٣ م) استطاعت القبيلة الذهبية إقامة إمبراطورية ضمت أكثر روسيا وكانت عاصمتها في سراي [قريبًا من مواقع فولجوجراد الحديثة] وكانت تدين بالخضوع للخان الأكبر في قرة قورم وساهمت مع قبلاي خان بين (١٢١٥ - ١٢٩٤ م) في غزواته في الصين ، وبعد (١٣١٤ م) صار الإسلام هو دينها الرسمي ؛ ولكن تدهورت الأمور بعد (١٣٨٠ م) بانتصار غندوق موسكو ، وظلت هذه الإمبراطورية حتى أواخر القرن الخامس عشر ، وانقسمت إلى خانيات مستقلة هي استراخان ، وقازان ، والقرم ، وحبير ، ثم سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين

وإيفان الرابع ، وحتى آخر عهد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية كان ما زال هناك ٥مليون تتري أكثرهم من المسلمين ويتكلمون لغة من أصل تركي يعيش أغلبهم متفرقين في الجمهورية الروسية الأوربية وفي غرب سيبريا .

ملوك في غير بلادهم :

وفيما بين عام (١٣٣ هـ) ، (٧٥٠م) وعام (٦٤٨ هـ) ، (٩١٩هـ : ١٢٥ ١م) ظهرت في العالم الإسلامي طبقة المماليك ثم كانت لهم دولة فيما بين عام ٦٤٨ هـ وعام ٩٢٩ هـ ، ١٢٥٠- ١٥١٧ م حكمت مصر وسيطرت على الشام والحجاز واليمن .

والمماليك قوم أمرهم عجيب فقد جاءوا إلى مصر عبيدًا يُباعون في أسواق النخاسة على أيدي تُجارها ، والأصل في العبيد أن يكونوا أسرى من الأعداء في حروب في سبيل اللّه ، وقد أقرت شريعة الإسلام ذلك حيث كان هو دأب أعداء الإسلام ، لم تأمر آيات القرآن ولا الحديث أبدًا بضرب الرق على الرقاب ؛ بل جاءت بالمن والفداء

وتركت بابها مفتوحًا ليكون نوعًا من المعاملة بالمثل ثم جعلت عتقهم كفارة لبعض الخطايا عُرف بفك الرقبة .

ومماليكنا هؤلاء لم يكونوا كذلك بل كانوا عملاً غير شرعي ، يختطفون أطفالاً من بلادهم ليباعوا بعيدًا عن ديارهم ، وفي هذا ما يعني ضعف دولهم حينذاك وعدم استتباب الأمن بها ، ولكن مع سماحة الإسلام ورحمته وأمَره بالإحسان إليهم كانت أمامهم الفرصة أن يرتقوا وأن تنمو مواهبهم حتى فوق الأحرار أهل البلاد وأن يصيروا هم فرسان الجيوش التي صدت العدوان خاصة الصليبي والمغولي ولم يلبثوا أن صاروا ملوكًا وسلاطين فكانت دولتهم من أزهي دول الإسلام وأكثرها مجدًا في ميادين القتال وبناء وعمارة في الداخل ، ومازال قلب القاهرة الأثري حتى اليوم يزخر بالعمارة المملوكية ، وما زالت أسماء شجر الدر وأيبك وأقطاي وقلاوون ، وقايتباي وطومانباي وبرقوق ، وبيبرس ، وقطز .. إلخ من الأسماء الباقية في التاريخ الإسلامي .

هؤلاء المماليك العظام الذين حكموا مصر ، والشام ، والحجاز كانوا في أكثرهم من بلاد آسيا الوسطى التي نتفحص الآن في تاريخها ، ولا نجد في خطفهم أطفالاً من بلادهم وبيعهم في مصر ما يعيبهم فذات الشيء حدث ليوسف الصديق بن يعقوب عليه السلام ؛ ثم صار عزيز مصر وعلى خزائن أرضها وصار نبيًّا وكأنما اختصت مصر بهذا النوع من الكرامات ، فكان الظاهر بيبرس من أتراك القفجاق الغزية وكان السلطان قطز من فرسان الخوارزم شاهية .

ما زال في قلب مدينة القاهرة حتى اليوم ما يُعرف بحي الأزبكية نسبة إلى الأوزبك أهل أوزبكستان اليوم وكان الحي كبيرًا يزخر بالقصور الفاخرة والبيوت التي تحيط ببركة الأزبكية قبل أن يأمر محمد على بردمها ، وقد اتخذ نابليون بونابرت قصر الألفي بك أحد تلك القصور المطلة على البركة مقرًّا له ولقيادة الحملة الفرنسية على مصر بما قد يعني أنه كان من أفخرها وأكثرها بهاء وسِعة ، فلم يبق من ذلك الآن إلا حديقة الأزبكية بعد أن كانت بركة الأزبكية

تمتد من موقع الحديقة شاملة ميدان الأوبرا وميدان العتبة ، ثم شرقًا إلى قريب من الخليج المصري ، ثم تحولت إلى موقف للأتوبيسات .

لقد كان بدء ظهور المماليك في العصر العباسي ، ثم استمر في العهد الساماني ، ثم السلجوقي ، ثم المغولي والتيموري ؛ بل وبعد ذلك في بلاد ما وراء النهر ، ولا يعني سقوط دولة المماليك أمام السلطان العثماني سليم الأول أن ظاهرة المماليك قد اختفت إنما تعني أنهم لم يعودوا حكامًا ، بل لقد أطلوا مرة أخرى وعادوا إلى الظهور في العصر العثماني ذاته وكان في مصر مماليك جزءًا من الجهاز الحاكم حتى جاء محمد علي إلى حكم مصر ، وإذا كان هذا يعنى شيئًا ؛ فإنما يعنى عدم استتباب الأمن في بلاد ما وراء النهر تحت أنواع الدول التي ذكرنا في توفير الأمن الداخلي بهذه البلاد بحيث صارت موردًا ومصدرًا لأسواق النخاسة ، وهي على كل حال لم تكن المصدر الوحيد ولكنها كانت مصدر المماليك الفرسان ، كما كانت

شركسيا مصدر الجواري الجميلات وكما كان السودان ، والحبشة ، وبلاد غرب أفريقيا مصدر العبيد السود للعمل في المزارع والأعمال الشاقة أو الحقيرة تبعًا لمواطن بيعهم .

ولما تحركت قبائل الأتراك غربًا ونزلت بين بلكاش والفولجا أحدثت فراغًا فيما تركت من أرض فسحبت وراءها قبائل المغول الذين كانوا حتى منتصف القرن (١٢م) يعيشون في شمالي منشوريا ، ومنغوليا ، والتركستان ، ووراء المغول جاء التتار وهم قبيل من المغول ، وتم اختيار جنكيزخانا أعظمًا للمغول (٦٠٣ هـ) ، (١٢٠٦م) فمهّد أموره وبسط سُلطانه تجاه الشرق حتى الصين وكوريا ، ثم بدءًا من عام (١٢٠٩ م) اتجه غربًا نحو ما وراء النهر وخوارزم ، وكان علاء الدين محمد خوارزم شاه هو الذي تولى أمر دولته خوارزم عام (٥٩٦ هـ) ، (١٢٠٠ م) وامتد سلطانه إلى إيران جنوبًا ، وآذربيجان غربًا ، وفرغانة شرقًا .

وفي (١٢١١ م) سيطر المغول على تركستان الروسية شمالي غرب ما وراء النهر ودخل القرلوق الترك المسلمون في طاعة المغول ، وتصدَّى محمد خوارزم شاه لجنكيزخان تصديًّا ضعيفًا فسقطت في يد المغول بخارى عام (٦١٦ هـ) ، (١٢١٩ م) ثم سمرقند ٦١٧ هـ ١٢٢٠ م وخربت تمامًا على من فيها ، وسقطت أطرار (٦١٨ هـ) ، (١٢٢١ م) ثم باقي نواحي الدولة وبلغ جنكيزخان بحر الخزر [قزوين] . ومات علاء الدين محمد خوارزم شاه في ديسمبر (١٢٢١هـ) وأقام جنكيزخان ابنه جوجي أميرًا على خوارزم .

ولما صار باتوا بن جوجي خانًا أعظمًا غزا شرق أوروبا ودخل عاصمة البلغار ، ثم اخترق روسيا (١٢٤٠ م) ، وبولندا (١٢١٤ م) وعاد إلى الفولجا في (١٢٤٢ م) . وفي عام (٦٥٤ هـ) ، (١٢٥٦ م) بدأ هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان حملته المخربة على العالم الإسلامي وسقطت بغداد في يده (٦٥٦ هـ) ، (١٢٥٨ م) واستمر يغزو حتى هزم جيش مصر المملوكية خليفته كتبغا وقتله في

عين جالوت ، وكانت دولة مغول القفجاق وهم القبيلة الذهبية قد قامت في (١٢٥١ م) . وفي (١٣٠٠ م) أسلم خان المغول بركة خان وصارت الإيلخانية دولة إسلامية . وفي (١٣١٣ م) تولى أوزبك خان زعامة القبيلة حتى (١٣٤٠ م) فعمل على نشر الإسلام في بلاد الروس التي كانت النصرانية قد بدأت تنتشر فيها على أيدي دُعاة من القسطنطينية ، وكان أوزبك خان مُتسامحًا فلم يحاول قط إرغام النصارى على الإسلام .

ثم قامت الإمبراطورية المغولية التيمورية على يد تيمور لنك حوالي (١٣٦٠ م) وكان مسلمًا في الظاهر ولكنه كان مخربًا ، واستمرت هذه الدولة من (٨٠٧ هـ) ، (١٤٠٤ م) حتى (٨٥٣ هـ) ، (١٤٤٩ م) حين ظهرت قوة قبائل الأوزبك التركمان فحكمت بلاد ما وراء النهر وانتهت دولة التيموريين (١٥٠٥ م) .

واستمر حكم الأوزبك حتى استولت روسيا القيصرية

على البلاد فيما بين (١٨٦٦ - ١٨٧٣ م) ، ثم قام الاتحاد السوفيتي (١٩١٧ م) حتى انفك مؤخرًا .

والآن وبعد هذه الرحلة في جغرافية هذه البلاد وعبر تاريخها ، نلقي نظرة على الواقع الحالي لها .

كازاخستان kazakhstan

أكبر هذه الجمهوريات ، تغطي ٢٧١٧٣٠٠ كم٢ وهي حوالي ١٢ ٪ من المساحة الكلية لما كان يسمى الاتحاد السوفيتي وهي الثانية بعد روسيا من حيث المساحة من بين ١٥ جمهورية تأسيسية . وفي الشمال الغربي ، والشمال والشرق حدودها على الفولجا ومناطق الأورال . وهي على غرب سيبريا - وتتكون حدودها الغربية ببحر قزوين ، أما الجنوب فجيرانها تركمانستان وأوزبكستان وقرغيزستان وجزء من حدودها الجنوبية الشرقية مع الصين ، ويتصل شمال كازاخستان طبيعيًا وثقافيًا بجنوب غرب سيبريا .

وكازاخستان موطن البدو من قبائل الترك الذين غزوا منغوليا في القرن الثالث عشر الميلادي ، وتقسمت إلى عدد من الخانات والسلطنات ، وفي القرن (١٧ م) وأوائل القرن (١٨ هـ) أدت الغارات المستمرة من البدو الغلاظ

بالعشائر الصغيرة من الكازاخستانيين إلى التماس الحماية الروسية عام (١٧٣١ م) وما إن بدأ ذلك حتى استمر التوغل الروسي .

وفي عام (١٨٤٦ م) حين استسلمت العشائر الأكبر كانت جميع المنطقة قد أدخلت في الإمبراطورية الروسية .

ثم صارت جمهورية تأسيسية في الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٣٦ .

تمتد كازاخستان ٣٠٠٠ كيلو من الشرق إلى الغرب ، و١٧٠٠ كيلو من الشمال إلى الجنوب .

وتوجد مرتفعات الكازاك التي ترتفع ٩٠٠ متر فوق سطح البحر في قلب كازاخستان ، وهي خط تقسيم المياه بين ما يصرف شمالاً إلى القطب الشمالي وما ينصرف داخليًا نحو بحر آرال .

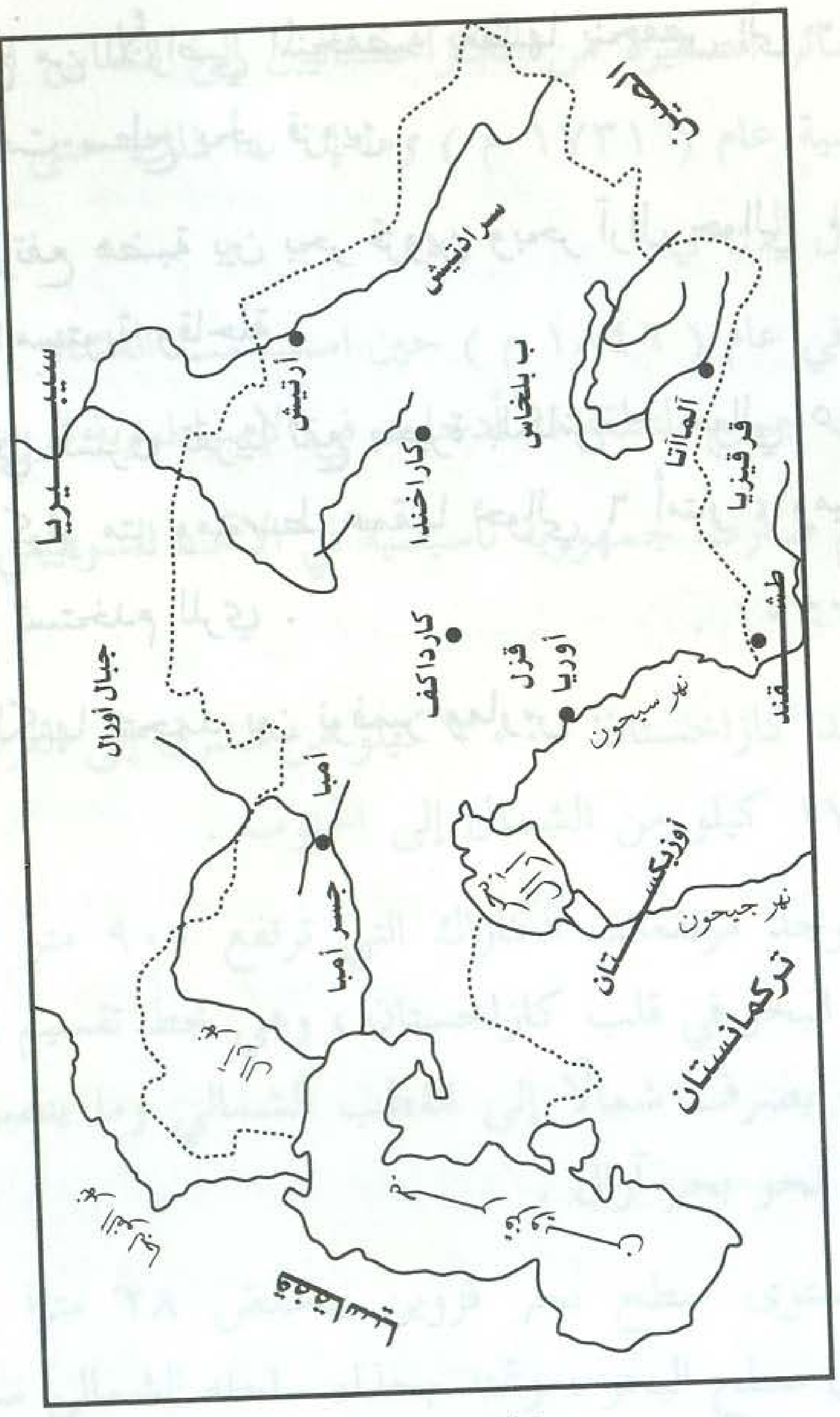
ومستوى سطح بحر قزوين ينخفض ٢٨ مترًا عن مستوى سطح البحر ، وتمتد بحذاء ساحله الشمالي سهل

مسطح من الأراضي المنخفضة بعضها ينخفض إلى ١٣٠ مترًا تحت سطح بحر قزوين .

وترتفع هضبة بين بحر قزوين وبحر آرال حوالي ٣٠٠ متر ، مستوية وقاحلة .

وفي الشرق تقريبًا تقع بحيرة بلكاش - حوالي ١٨,٥ ألف كيلو متر ومتوسط عمقها حوالي ٦ أمتار ، ومياهها عذبة تستخدم للري .

ولكنها تتجمد بين نوفمبر ومارس .


سيبيريا
جبال أورال
أرتيش
كاراخندا
ب بلخاش
ألماآتا
قرقيزيا
كارداكف
قزل أوريا
طشقند
نهر سيحون
أمبا
أوزبكستان
نهر جيحون
تركمانستان

كازاخستان

ومناخ كازاخستان قاري شديد فصيفها طويل وحار ، وشتاؤها قصير وبارد ، وأكثر من ثلثي كازاخستان صحراء أو شبه صحراء ، والجبال مكسوة بأشجار الأخشاب والصنوبر والأرز .

والسكان حوالي ٢٨ مليون (١٩٩٢ م) منهم ٣٣ ٪ كازاك من المسلمين يتكلمون التركية ويعيشون بدوًا رُعاة يستوطنون الواحات ويتحولون تدريجيًّا إلى الحياة الحضرية ، و٤٢ ٪ من الروس ، و٧ ٪ من الأوكرانيين ، والروس والأوكرانيون يمثلون التقدم في التعدين والصناعات المعدنية واستصلاح الأراضي .

ويعيش حوالي ٥٢ ٪ في المدن وأكبرها ألماآتا العاصمة - حوالي ١,٥ مليون .

وهي عند السفوح الجنوبية قريبًا من الحدود مع الصين .

وهي مدينة روسية تمامًا منذ أواسط القرن ١٩ .

وهي مركز للصناعات الهندسية والمنسوجات ، وحِفْظ

الفواكه ، وتعبئة اللحوم ، والجلود ، والخمور والطباق .

وتعتمد الزراعة على أمطار غير منتظمة ، ويزرع القطن ، والقمح ، والشعير ، والأرز ، وبنجر السكر والأعناب ، والفواكه ، والخضروات .

وشمال كازاخستان غنية بالحبوب وتنتج ١٠ - ١٥ ٪ من جملة محصول دول الاتحاد السوفيتي الذي تفكك .

كما توجد مزارع لإنتاج الألبان وبراري لتربية الأغنام ، والماشية .

وفي كازاخستان معادن وفيرة وبها مناجم للفحم خاصة الحجري .

ويوجد مخزون من الحديد ، والنحاس ، والفوسفات ، والرصاص ، والزنك ، والفضة .

كما يستخرج البترول .

وأسهمت السكة الحديد في التقدم الاقتصادي للجمهورية ، وبها حوالي ١٤٠٠٠ كيلو متر منها .

ومن خلال ألماآتا ترتبط الشبكة بطرق سيبريا منذ (١٩٣٠ م) وبالجمهورية أيضًا أكثر من ٥٥٠٠٠ كيلو متر من الطرق الممهدة .

وتوجد أيضًا خطوط أنابيب بترول .

أوزبكستان Uzbekistan

تمتد أوزبكستان من المناطق المرتفعة في ألاي وجبال تيان شان بالجنوب الشرقي إلى بحر آرال بالشمال الغربي وهي مسافة حوالي ١٢٠٠ كيلو متر، واختلفت تقديرات مساحتها بين ٤٤٧ ألف كيلو متر مربع إلى ٤٠٩ ألف.

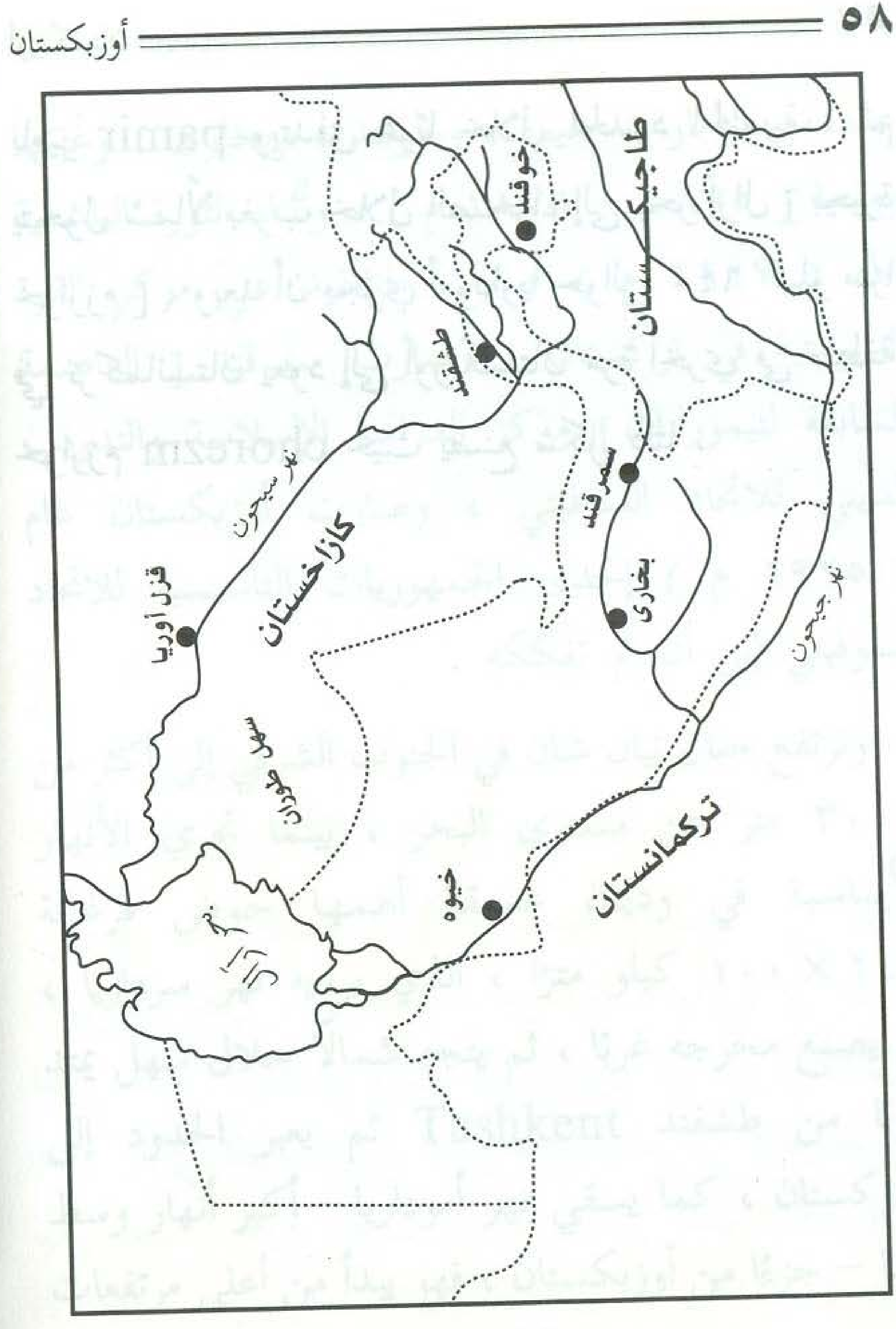
ولأوزبكستان في الجنوب حدود خارجية قصيرة مع أفغانستان، ولكن أطْوَل حدود لها مع كازاخستان في الشمال الشرقي والشمال الغربي، ومع تركمانستان في الجنوب الغربي حيث تتبع الحدود تقريبًا نهر أموداريا.

وهي بلاد الصُّغْد قديمًا، فتحها المسلمون في القرن الثامن الميلادي، ثم صارت من دولة خوارزم في القرن الثاني عشر الميلادي وآلت إلى المغول في القرن الثالث عشر، وفي القرن الرابع عشر صارت مركزا لإمبراطورية تيمورلنك. وفي القرن السادس عشر آلت البلاد إلى الأوزبك وهم بقية من القبيلة الذهبية، ثم انقسمت إلى

عدد من الإمارات خيوة ، وخوقند ، وبخارى ، وغَزَتْها روسيا (١٨٧٥ - ١٨٧٦ م) ، وأثناء الثورة البلشفية عام (١٩١٧ م) صارت طشقند هي مركز القوة السوفيتية في تركستان ، وصارت سمرقند [العاصمة السابقة لتيمورلنك] مركز الدراسة الإسلامية والتدريب الديني للاتحاد السوفيتي ، وصارت أوزبكستان عام (١٩٢٥ م) إحدى الجمهوريات التأسيسية للاتحاد السوفيتي إلى أن تم تفككه .

وترتفع جبال تيان شان في الجنوب الشرقي إلى أكثر من ٣٠٠٠ متر عن مستوى البحر ، بينما تجري الأنهار الأساسية في وديان عميقة أهمها حوض فرغانة ٢٤٠ × ١٠٠ كيلو مترًا ، الذي يرويه نهر سرداريا ، ثم يصنع مخرجه غربًا ، ثم يتجه شمالًا خلال سهل يمتد غربًا من طشقند Tashkent ثم يعبر الحدود إلى كازكستان ، كما يسقي نهر أموداريا - أكبر أنهار وسط آسيا - جزءًا من أوزبكستان ، فهو يبدأ من أعلى مرتفعات

بامير pamir ويتدفق غربًا خلال الحدود الجنوبية ، ثم يتحول شمالًا بغرب خلال الصحراء إلى بحر آرال [بحيرة خوارزم] ، وبعد أن يجري أموداريا حوالي ٦٤٠ كيلو مترًا في تركمانستان يعود إلى أوزبكستان مرة أخرى في منطقة خوارزم chorezm حيث يصنع شكل دلتا .



أوزبكستـــان

وأوزبكستان شديدة الجفاف وهناك أمطار على الجبال الجنوبية الشرقية ولكنها تتناقص سريعًا كلما اتجهنا نحو السهول الصحراوية ، وفي الأراضي المنخفضة يكون متوسط الحرارة في شهر يولية ٢٧° ، أما الشتاء فعادة بارد .

وقد كان سكان أوزبكستان حوالي ١٣ مليون عام (١٩٧٤ م) ارتفع (١٩٩٢ م) إلى حوالي ٢٧ مليون وترجع الزيادة أساسًا إلى زيادة معدل المواليد بين المسلمين بالذات بالإضافة إلى هجرة المستوطنين من روسيا . والسكان ٦٥٪ منهم من الأوزبك ، و١٢,٥٪ من الروس يعيشون أساسًا في المدن ، و٥ ٪ من التتار ، كما توجد مجموعات أخرى من سُلالات آسيا الوسطى ، وحوالي ٦٤ ٪ من السكان يعيشون في مناطق ريفية ومناطق الزراعة بالري خاصَّة حوض فرغانة وحول طشقند .

وطشقند هي : العاصمة وكانت تعرف في العصور الإسلامية باسم « الشاس » وتعدادها حاليًا يزيد عن ٢,٥ مليون

وهي أكبر مدن وسط آسيا ، يليها سمرقند ٥٠٠ ، ألف وأنديزان ٤١٠ ألف ، ونامنجان ٤٠٠ ألف ، وخوقند ٢٨٠ ألف ، وبخارى ٢٥٠ ألف ، وفرغانة ٢٤٠ ألف ، وشركك ٢٤٠ ألف .

وينتمي الأزبك إلى العنصر التركي الذي حكم أكثر آسيا الوسطى قبل مجيء الروس ، و٦٢ ٪ منهم مسلمون سُنِّيُّون يتكلمون التركية ويتأثرون بالثقافة الفارسية ولكن لغتهم لم تعد تعتمد على الخط العربي وإنما استبدل به السيريلاكي cyrillic .

والزراعة هي عماد اقتصاد أوزبكستان شأن سائر جمهوريات آسيا الوسطى ، ففي الجبال زراعة محدودة جدًا لحبوب الأعلاف لرعي الأغنام والماشية ، والسهول الصحراوية هي المجال التقليدي للبدو الرحل بقطعان الأغنام والماعز وهي قطعان متواضعة للفقر في الكلأ ، ثم توجد منطقة الزراعة بالري بوادي فرغانة شرقًا ، وهي التي تمد

الجمهورية بأكثر احتياجاتها ، والمحصول الرئيسي هو القطن وأوزبكستان واحدة من أكبر منتجي القطن في العالم وكانت قبل التفكك تمد الاتحاد السوفيتي بـ ٦٧ ٪ من احتياجاته ، كما تنتج الأرز ، والتبغ ، والفواكه ، والأعناب ، والخضروات ، والبرسيم ، والقمح . وقد أقيم سد ليتحكم في مياه الفيضان لري دلتا سرداريا [سيحون] .

ويستخرج من وادي فرغانة الفحم ، والبترول ، والغاز الطبيعي ، ومن وادي انجرين النحاس ، والرصاص ، والزنك ، وجنوب خوقند يوجد الكبريت ؛ وبالقرب من بخارى حقل كبير للغاز الطبيعي هام جدًّا الجميع وسط آسيا وتصل أنابيبه إلى جبال الأورال وحتى منطقة موسكو .

وفي أوزبكستان عدة مشروعات كهربائية هيدروليكية أقيمت على السدود التي تنظم الري ، وبالرغم من أنها أكثر دول آسيا الوسطى تصنيعًا إلا أنها صناعات يغلب عليها الطابع المحلي : مثل المنسوجات القطنية والحريرية ،

والمصنوعات الصوفية وتوجد معاصر كبيرة في طشقند وسمر قند وفرغانة . كما يوجد مشروع للصلب تجلب له سبائكه من غرب سيبريا ، كما يوجد مصنع لتنقية النحاس ، وفي خوقند وسمرقند صناعات كيماوية ، وفي طشقند صناعات للميكنة الزراعية والأسمنت والورق ، والجلود .

ويرتكز النقل على شبكة للسكك الحديدية ، ويمر الخط الأساسي بين بخارى ، وسمرقند وطشقند ، ويتصل به خطوط فرعية ، ومن طشقند يجري خط خلال وادي سرداريا ، وخلال الصحراء إلى أورنبزج في الأورال ، ويجري خط آخر إلى وادي أموداريا وحتى اصطراخان على نهر الفولجا ليتصل بروسيا الأوربية .

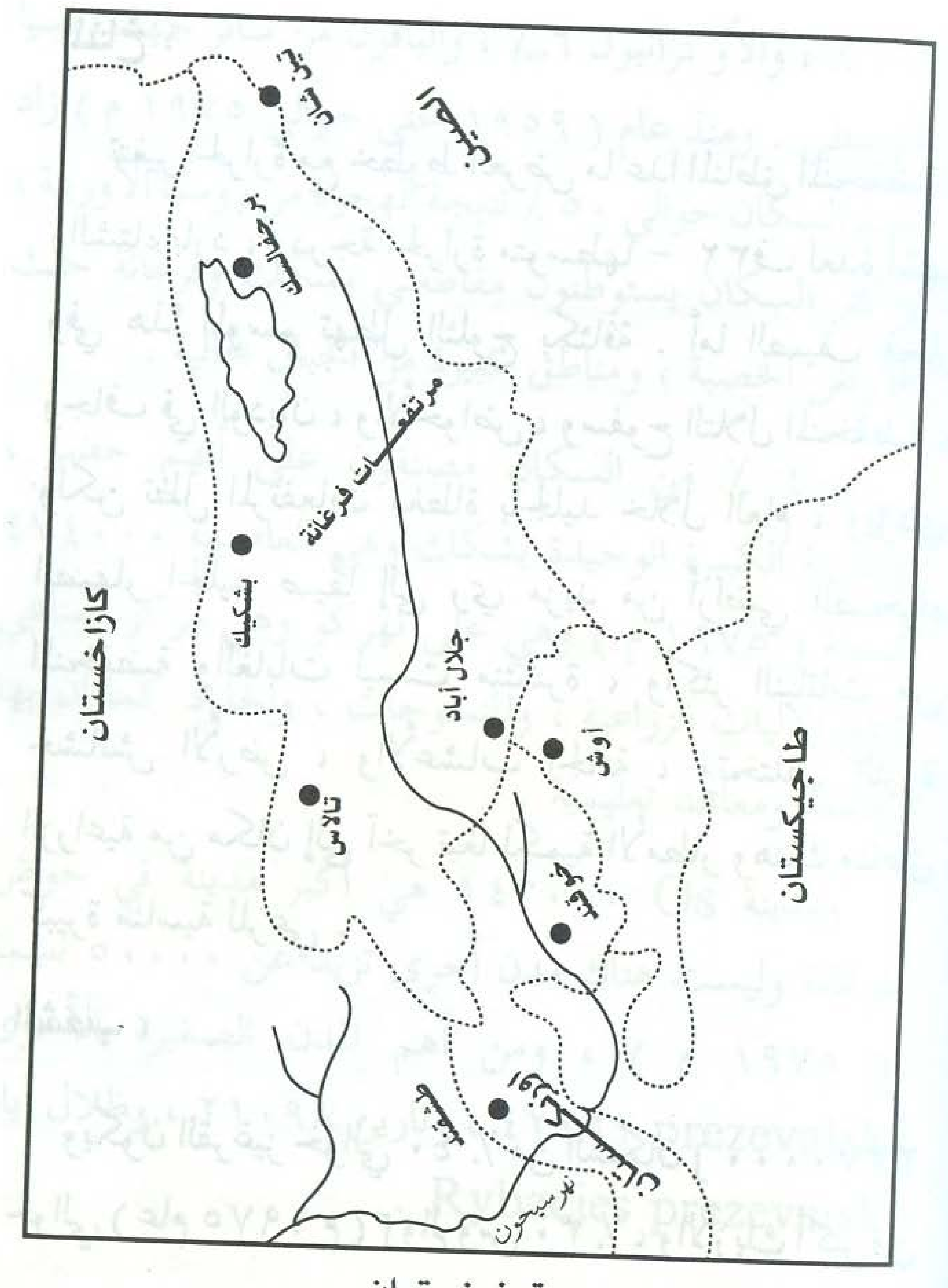
قرغيزستان Kirgizskaja

حوالي ١٩٨٥٠٠ كم٢ ، وفي مصدر آخر ١١٧٠٠٠كم٢ ، جنوب كازاخستان ، وشرق أوزبكستان ، وشمال طاجيكستان ، أما جنوبها الشرقي فحدودها مع الصين .

ويبلغ طول الجمهورية من الشرق إلى الغرب حوالي ٥٦٠ كيلو مترًا ، ولا تزيد بين شمالها وجنوبها عن ٤٠٠ كيلو مترًا ، عاش القرغيز حول أعالي نهر ينيسي Yenisei ولكنهم هاجروا قبل (١٦٠٠ م) إلى ما يعرف الآن بقرغيزيا ، وفي عام (١٨٧٦ م) احتلت روسيا المنطقة بأكلمها ثم صارت جمهورية ضمن الاتحاد السوفيتي مع ثورة أكتوبر (١٩١٧ م) وذلك عام (١٩٢٤ م) مع حصولها على استقلال ذاتي (١٩٢٦ م) ثم اعتبرت جمهورية تأسيسية في ١٩٣٦ م .

الأرض :

وأكثر قرغيزيا تقع في نطاق الجبال العالية لأواسط آسيا باستثناء المنطقة الشمالية حول فرونزي [بشكك] فهي تمتد في منطقة مسطحة ، والقسم الغربي يشمل الحواشي الشرقية لحوض فرغانة ، أما غير ذلك فإن قرغيزيا تتكون من مناطق جبلية كثيفة ترتفع إلى أكثر من ٣٠٠٠ متر مع وجود وِدْيَان عميقة حيث تفيض أنهارها أحيانًا من خلال منحدرات جبالها . وبصفة عامة فهي تمتد من الشرق إلى الغرب وأعلا قممها pobedy ٧٤٣٩ مترًا في أعلا جبالها وهي تيان شان على حدودها مع الصين . ويروي نهر كو وروافده سهول شمال قرغيزيا حول بشكك وتمتد هذه السهول إلى كازاخستان وهناك حوض آخر قريب جنوب جبال قرغيزستان في غرب الجمهورية ، وأطول أنهار قرغيزيا هو نارين يجري من الشرق إلى الغرب ثم ينصب إلى حوض فرغانة ويتصل بسيرداريا .



قرغيزستـــان

المناخ :

تتغير الحرارة مع خطوط العرض ما عدا المناطق المنخفضة ، والشتاء بارد ، ودرجة الحرارة متوسطها - ٣٢ف لعدة أشهر وفي هذا الموسم تهطل الثلوج بكثافة . أما الصيف فحار وجاف في الوديان ، والأحواض ، وسفوح التلال المنخفضة ، ولكن تظل المرتفعات مغطاة بالجليد خلال العام ، ويؤدي انصهار الجليد صيفًا إلى ري مزيد من أراضي الصحراء المنخفضة والغابات ليست منتشرة ، وأكثر النباتات من حشائش الأرض ، والأعشاب الجافة ، وتختلف الثروة الزراعية من مكان إلى آخر تبعًا لكمية الأمطار وهناك مناطق كبيرة مناسبة للرعي .

الشعب :

ويكون القرغيز حوالي ٤٠ ٪ من السكان [٣٣٧٠٠٠٠ حوالي (عام ١٩٧٥ م)] والروس ٣٠ ٪ ، والأزبك أكثر من

١٠ ٪ ، والأوكرانيون ٦ ٪ ، والباقون من سائر جهات آسيا الوسطى . ومنذ عام (١٩٥٩ حتى حوالي ١٩٧٥ م) زاد عدد السكان حوالي ٥٠ ٪ نتيجة الهجرة من روسيا الأوربية ، وأكثر السكان يستوطنون مقاطعتي بشكك وفرغانة حيث الأرض الخصبة ، ومناطق كبيرة من الجبال خالية .

و ٤٠ ٪ من السكان مصنفون على أنهم حضر ، والمدينة الكبيرة الوحيدة بشكك وهي العاصمة ٤٧٤٠٠٠ نسمة (١٩٧٥ م) وهي على نهركو وهي مركز صناعي تنتج الآليات الزراعية ، والمنسوجات ، والجلود كما أن بها جامعة ومعاهد تعليمية .

ومدينة Os ١٤٣٠٠٠ هي أكبر مدينة في حوض فرغانة وليست هناك مدن أخرى تزيد عن ٥٠٠٠٠ نسمة (١٩٧٥ م) ، ومن أهم المدن الصغيرة الأخرى prezevalsk ٤٢٢٦٢ ، ونارين ٢١٠٩٨ ، وظلال آباد Rybacjes prezevaisk .

الزراعة :

الزراعة هي عماد ثروة قرغيزستان وأكثرها مراعي على مختلف الارتفاعات ويزيد عدد الضأن والماعز عن ٩ مليون رأس (١٩٧٥) ويعتبر الصوف من المنتجات الرئيسية ويربى البقر للألبان ، وكذا الياك للحم والألبان .

وفي الأحواض الداخلية تتوقف أنواع المحاصيل على الأحوال المناخية ، فالأراضي الخصبة وقف على الغلال والأعلاف للاستهلاك المحلي ، وفي بعض الأحواض يزيد الإنتاج كثيرًا اعتمادًا على الري ، وزراعة الأراضي الخصبة ، توجد في الأراضي المنخفضة التي هي جزء من المناطق الزراعية لآسيا الوسطى وأهمها الحواشي الشرقية لحوض فرغانة حول Os وظلال آباد حيث يُزرع القطن ، والبرسيم، والفواكه ، والأعناب ، أما الأراضي المروية بمنطقة بشكك فتنتج بنجر السكر ، والغلال ، والفواكه ، والخضروات ، والمحصول الرئيسي لحوض Talas هو التبغ ، ولكن هذه المحاصيل فهي أقل قيمة من إنتاج أوزبكستان المجاورة .

المعادن والقوى :

الثروة المعدنية محدودة . ويستخرج الفحم بالقرب من Os ، والحاصل الذي يبلغ حوالي ٤ مليون طن سنويًا هو أكبر ما تنتجه جمهوريات آسيا الوسطى وله أهمية محلية ، كما تستخرج كميات صغيرة من الرصاص والصفيح من حوض Issyk Kul والتنجستين والمولبدنم من أعالي وادي نارين ، وتولد أكبر طاقة كهربائية كما تتركز الصناعات في بشكك وعلى نهر نارين ، والجمهورية صغيرة القيمة صناعيًا ويعتمد أساسًا على الصناعات الزراعية كالصوف ، والحرير ، والقطن ، والسكر .

ويوجد خط حديدي من Turksib إلى مدن حوض فرغانة وإلى بشكك ، ومنذ الحرب العالمية الثانية أُنشئت عدة طرق تعبر الجبال من الشمال إلى الجنوب وإلى جنتوان بالصين [عاصمة ولاية نينغشيا الإسلامية ذات الحكم الذاتي بالصين] .

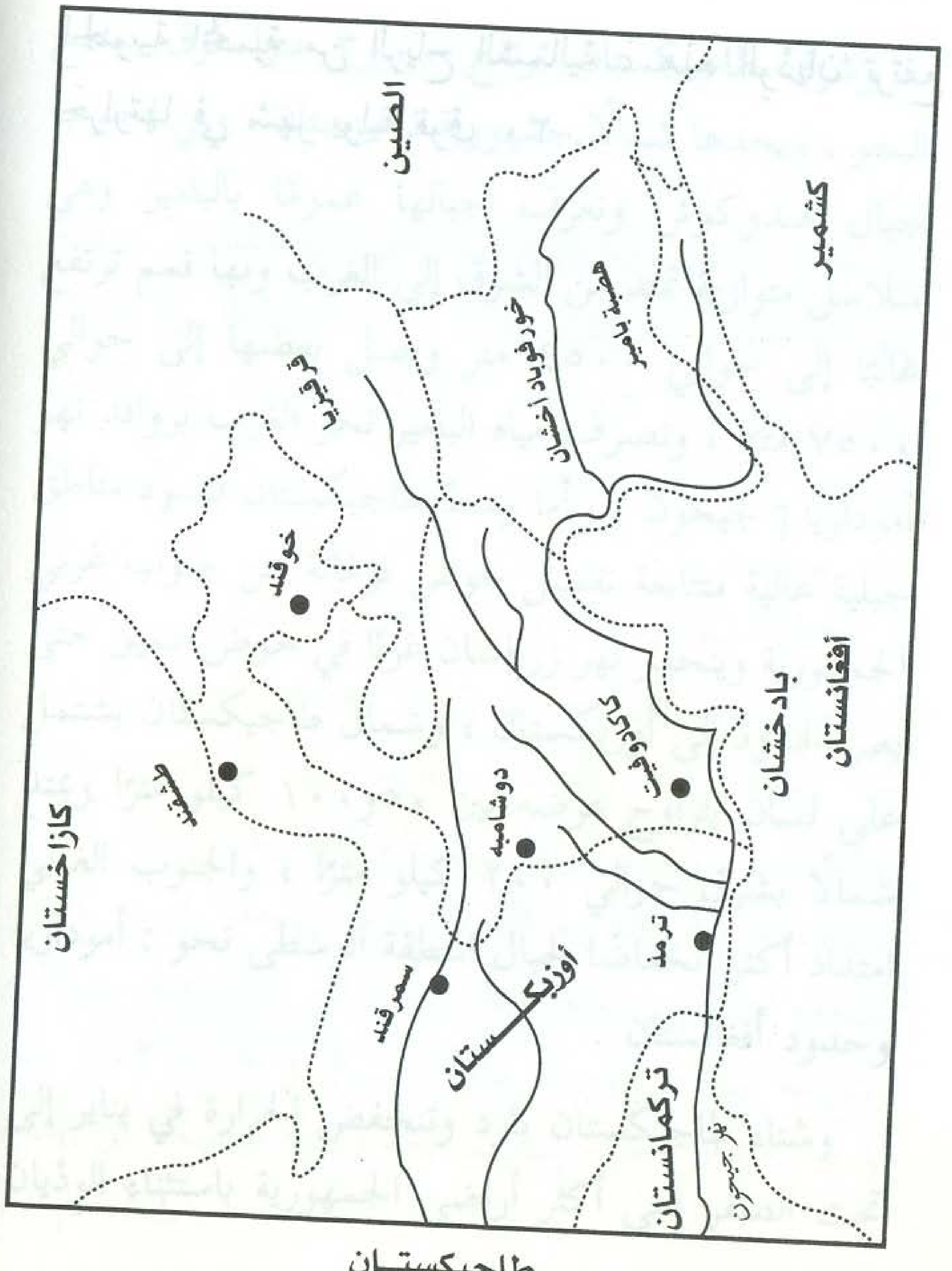
طاجيكستان Tajikstan

أصغر جمهوريات وسط آسيا وأكثرها تطرفًا نحو الجنوب ، مساحتها ١٤٣ ألف كيلو مترًا مربعًا ، وتمتد من الشرق إلى الغرب حوالي ٦٠٠ كيلو مترًا ، ويتراوح من الشمال إلى الجنوب بين ٩٥ - ٢٥٠ كيلو متر ، وهي تضم جبال بامير ، وهضبة مرتفعة قاحلة في جنوبها الشرقي، ووداي فرغانة في شمالها ، ويحوطها من الشرق ، مقاطعة سنكيانج وهي منطقة مستقلة بالصين ، بينما في الجنوب يفصل أعالي نهر أموداريا الجمهورية عن أفغانستان ، أما في الغرب والشمال فهي حدود مع أوزبكستان وقرغيزستان ولها في الشمال الغربي لسان يمتد شمالًا بشرق ليفصل حوض فرغانة عن باقي أوزبكستان ، وكانت هذه البلاد جزءًا من إمارة بخارى ولكنها وقعت عام (١٨٩٠ م) تحت الحكم الروسي ، ثم صارت جمهورية تأسيسية في الاتحاد السوفيتي عام (١٩٢٩ م) حتى تفكك .

وشرق طاجيكستان ترتفع ٣٠٠٠ مترًا فوق سطح البحر ، ويحدها شمالاً جمهورية قرغيزستان ، وفي الجنوب جبال هندوكوش وتعرف جبالها عمومًا بالبامير وهي سلاسل متوازية تمتد من الشرق إلى الغرب وبها قمم ترتفع غالبًا إلى حوالي ٤٥٠٠ متر ويصل بعضها إلى حوالي ٧٥٠٠ مترًا ، وتصرف مياه البامير نحو الغرب بروافد نهر أموداريا [جيحون] ، أما وسط طاجيكستان فتسود مناطق جبلية عالية متتابعة تفصل حوض فرغانة عن جنوب غربي الجمهورية وينحدر نهر زرافشان غربًا في حوض عميق حتى يعبر الحدود إلى أوزبكستان ، وشمال طاجيكستان يشتمل على لسان يتراوح عرضه بين ٥٠و١٠٠ كيلو مترًا ويمتد شمالاً بشرق حوالي ٢٠٠ كيلو مترًا ، والجنوب الغربي امتداد أكثر انخفاضًا لجبال المنطقة الوسطى نحو : أموداريا وحدود أفغانستان .

وشتاء طاجيكستان بارد وتنخفض الحرارة في يناير إلى تحت الصفر على أكثر أراضي الجمهورية باستثناء الوِدْيان

الجنوبية المحمية من الرياح الشمالية ، هذه الوِدْيان ترتفع
حرارتها في شهر يولية فوق ٣٠ .


الصين
كشمير
قرغيزيا
هضبة بامير
خوقند
طشقند
كازاخستان
دوشانبه
بادخشان
أفغانستان
ترمذ
سمرقند
أوزبكستان
تركمانستان
نهر جيحون

طاجيكستان

ويزيد السكان عن ٥ مليون ، ٥٦ ٪ منهم مواطنون طاجيك وهم شعب إيراني مسلم ، و٢٣ ٪ من الأوزبك يتركزون شمالًا ، و١٣ ٪ من الروس والأوكرانيين يعيشون غالبًا في المدن ، هؤلاء السكان كانوا على النصف من عددهم الحالي قبل عقدين من الزمان وحدثث هذه الزيادة بارتفاع معدل المواليد وأيضًا بسبب الهجرة .

والكثافة السكانية في حوض فرغانة وفي الجنوب الغربي ، ويصنف ٣٧ ٪ من السكان كَبْدو .

ولا توجد سوى مدينتين كبيرتين ، العاصمة دوشامبة حوالي مليون نَسمة ، ولينين آباد حوالي ٢٢٥٠٠٠ عند مدخل وادي فرغانة .

والطاجيك ينحدرون من الأريان الصغد وكانوا قديمًا جزءًا من امبراطورية فارس القديمة ، ولغتهم لهجة من الإيرانية وهم مسلمون سُنِّيُّون .

وتعتمد الجمهورية أساسًا على الزراعة وأكثرها مخصص

لتوفير الدواجن ، والأغنام ، والماشية ، كما تزرع القمح والشعير ، والذرة العويجة ، والكتان ، والخضروات بدون ري اعتمادًا على الأمطار ، وكما في سائر جمهوريات آسيا الوسطى تخصص الأراضي المروية أساسًا لزراعة القطن ، كما يُزرع الأرز ، والجوت ، والطباق ، والبرسيم ، والفواكه ، والخضروات ، وينتشر الري في الجنوب الغربي ، وتوفر السدود على الأنهار المياه للأراضي المنخفضة الممتدة إلى نهر أموداريا .

وعن التعدين توجد كميات صغيرة من الفحم ، والبترول ، والرصاص ، والزئبق ، والتنجستون ، كما يُتاح توليد الكهرباء بشدة من مجاري المياه ، وما زالت الصناعة نسبيًا ، وتتركز صناعة منسوجات القطن والحرير والصوف في دور شامية ولينين آباد ، ويعتمد على الطاقة الكهربائية في الصناعات الكيماوية ، والمعدنية ، والهندسية .

والنقل مشكلة كبرى في هذه الجمهورية الجبلية ، ولا تخدم السكة الحديدية سوى حوض فرغانة والمنطقة

الجنوبية الغربية ، وليس هناك حلقة وصل بين هاتين المنطقتين الأساسيتين ، ويوجد طريق رئيسي بين دوشامبة ولينين آباد مع فرع إلى سمرقند في أوزبكستان ، وكذا طريق رئيسي إلى الشرق من دوشامبة إلى البامير فيتصل بطريق من الجنوب إلى الشمال خلال قرغيزستان إلى حوض فرغانة . والحركة على هذه الطرق صعبة لاسيما شتاءًا .

وبالرغم من سقوط الشيوعية وانفراط الإتحاد السوفييتي ، فما زالت عناصر شيوعية تضع يدها باستماتة على السلطة وتقاوم الإسلاميين في الجمهورية بالحرب وبالتعذيب ، ويعاونها في ذلك رحمانوف رئيس أوزبكستان المجاورة الذي يتبنى ذات الإتجاه وكذا قوات الجيش الروسي لإتحاد المصالح ولإبقاء طاجيكستان منطقة حدود عازلة مع أفغانستان .

وتفيد الأخبار أن الإسلاميين في طاجيكستان يتلقون العون من إخوانهم في أفغانستان .

تركمانستان Turkmenistan

كانت تركمانستان تتكون مما هي الآن الجمهوريات الخمس الإسلامية لأواسط آسيا بالإضافة إلى سنكيانج في الصين وشمال شرق أفغانستان ، أما جمهورية تركمانستان فتمتد من بحر قزوين إلى صحراء جوبي وتغطي ٤٨٨ ألف كيلو متر مربعًا وتمتد شرقًا من بحر قزوين حوالي ١٠٥٠ كيلو متر إلى وادي أموداريا [نهر جيحون] والحدود مع أوزبكستان .

لتركمانستان حدود جنوبية طويلة مع إيران وأفغانستان ، ومنها تمتد شمالاً نحو ٧٢٠ كيلو حتى كازاخستان .

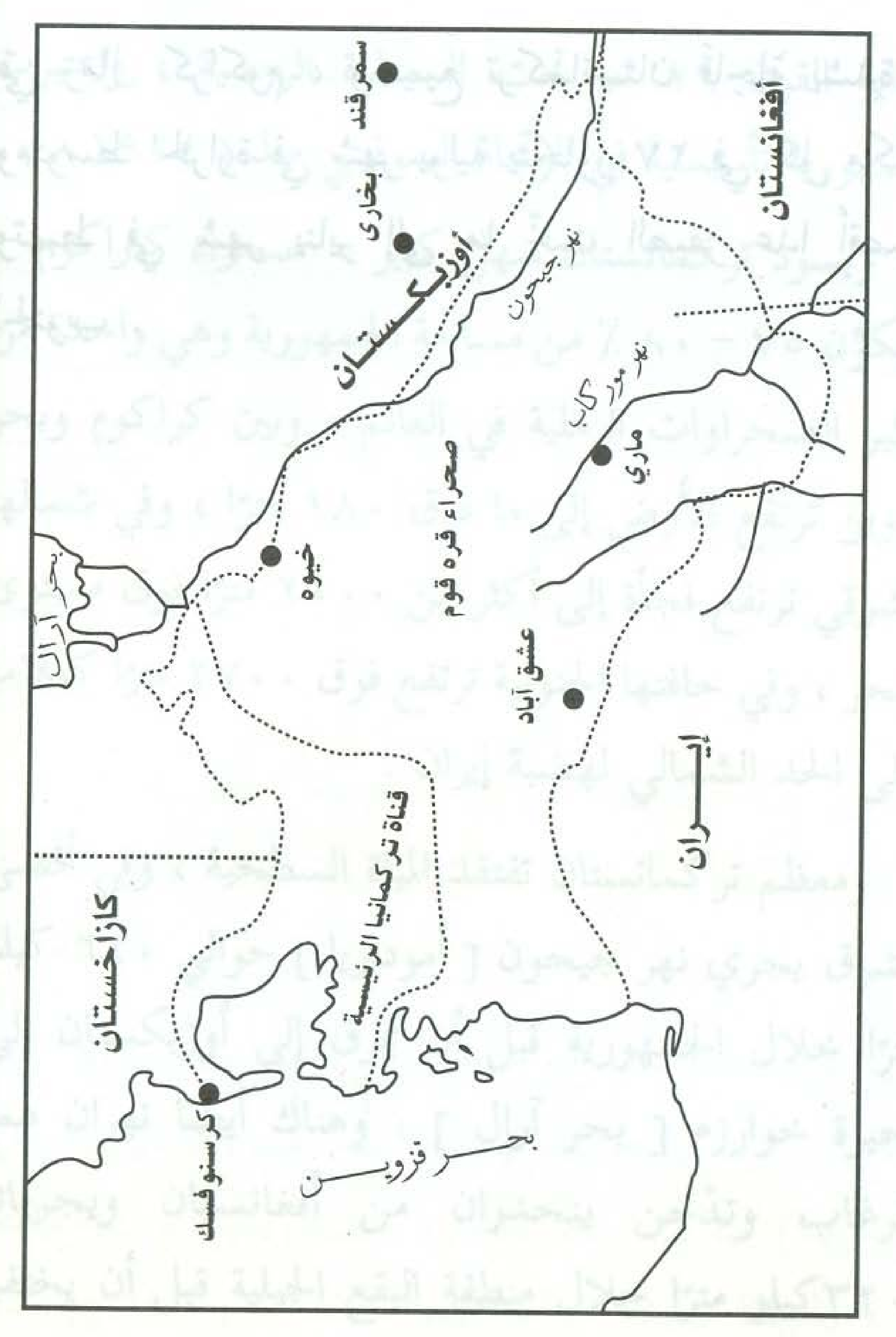
وقد كانت هذه البلاد في وقت من الأوقات جزءًا من الإمبراطورية الفارسية ؛ ثم حكمها السلجوق الترك وغزاها جنكيزخان ، وتيمورلنك ، ويتكلم أهلها التركية وهم من المسلمين السُنة وقد كانوا تحت حكم الخانات القيوان في

بداية القرن ١٩ ثم تحت السيطرة الروسية ، واعتبرت جمهورية تأسيسية في الإتحاد السوفيتي منذ (١٩٢٤ م) .

ويسود تركمانستان سهل كبير - صحراء كاراكوم - ويكوّن ٧٥ - ٨٠ ٪ من مساحة الجمهورية وهي واحدة من أكبر الصحراوات الرملية في العالم ، وبين كراكوم وبحر قزوين ترتفع الأرض إلى ما فوق ١٨٠ مترًا ، وفي شمالها الشرقي ترتفع فجأة إلى أكثر من ٢٠٠٠ مترًا فوق مستوى البحر ، وفي حافتها الجنوبية ترتفع فوق ٢٧٠٠ مترًا كعلامة على الحد الشمالي لهضبة إيران .

ومعظم تركمانستان تفتقد المياة السطحية ، وفي أقصى الشرق يجري نهر جيحون [أموداريا] حوالي ٦٤٠ كيلو مترًا خلال الجمهورية قبل أن يمرق إلى أوزبكستان إلى بحيرة خوارزم [بحر آرال] ، وهناك أيضًا نهران هما المرغاب وتذْجن ينحدران من أفغانستان ويجريان ٣٢٠ كيلو مترًا خلال منطقة البقع الجبلية قبل أن يختفيا

في رمال كراكوم ، وجميع تركمانستان قَاحِلة بشدة ، ومتوسط الحرارة في شهر يولية يتجاوز ٢٧ في كل مكان وتهبط في شهر يناير إلى ما تحت الصفر عدا أقصى الجنوب .


سمرقند
بخارى
أفغانستان
أوزبكستان
نهر جيحون
نهر مورغاب
ماري
صحراء قره قوم
خيوه
بحر آرال
عشق آباد
إيران
قناة تركمانيا الرئيسية
كازاخستان
كرسنوفسك
بحر قزوين

تركمانستان

ويبلغ السكان حوالي ٥ مليون نسمة ، ٦٦ ٪ منهم من التركمان من قبائل متعددة يتكلمون اللغة التركية ، والروس ، والأوكرانيون حوالي ٢٣ ٪ يعيشون أساسًا في المدن ، والكازاك ٣ ٪ كما يوجد أعداد من التتار والأرمن وغيرهم ، ومعدلات الإنجاب لدى التركمان عالية مثل سائر المسلمين بوسط آسيا وهم يزدادون ٣٠ ٪ كل ١٥ عام ، والمدينة الكبرى الوحيدة هي أشخاباد - العاصمة - وتعدادها حوالي ٤٠٠ ألف [١٩٩٢ م] وهي مركز صناعي وثقافي .

واللغة هي التركمانية وتنتمي إلى مجموعة اللغات التركية للجنوب الغربي ، ومازال كثير من التركمان يحتفظون بعقيدتهم الإسلامية السُّنية .

الزراعة هي النشاط الاقتصادي الأساسي مع الاهتمام بتربية الدواجن والمواشي وقد اختفت البداوة الحقيقية في فترة الانضمام إلى الاتحاد السوفيتي ، وتربى الأغنام أساسًا

في شرق تركمانستان لفرائها عالي النوعية الذي يصنف كصوف فارسي أو اصطراخان .

ويعتبر القطن هو المحصول الأساسي للأراضي المروية ، ويحتل حوالي ٥٠ ٪ من الأرض الخصبة ، يليه الغلال ٢٨٪ ثم محاصيل العلف ١٧ ٪ كما تنمو الكروم والفواكه والخضروات .

وأهم مناطق الزراعة بالري توجد بطول نهر أموداريا حتى خوارزم ، وكذا بطول نهر المرغاب ونهر تِدْزِن ، ومنذ تم تحويل جزء من مياه أموداريا غربًا عام (١٩٧٠ م) ثم مدت إلى أشكاباد ، ثم إلى بحر قزوين بقناة كراكومسكي وقد حلت مشكلة نقص مياه الري هذه القناة حولت ٢٠٠٠٠٠ هكتار من الصحراء إلى أرض مزروعة بالقطن وتربى القطعان .

ويستخرج البترول [١٤,٥ مليون طن (١٩٧٤ م)] وكذا الغاز الطبيعي ، ولاتوجد معادن ولكن تنتج

تركمانستان عدة كيماويات خام أهمها الكبريت كما تنتج الملح . وتولد الطاقة بمحطات توليد حرارية كما توجد بعض المشروعات الهيدروكهربائية بطول نهر المرغاب وغيره، وأهم الصناعات المنسوجات القطنية والحريرية .

ويتم أكثر الشحن بالسكة الحديدية وتتصل بطشقند عاصمة أوزبكستان وهي تخدم جميع المدن الكبرى ويجري الخط بطول الحافة الجنوبية لتركمانستان ، كما توجد خدمات ملاحية عبر بحر قزوين ، وكذا شبكة طرق تزيد عن ٨٧٠٠ كيلو مترًا منها أكثر من ٥٠٠٠ كيلو على طرق شاقة ، ومن أشكاباد يتصل طريق بري بمشهد في إيران .

مما تقدم نستطيع أن نفرغ البيانات الإحصائية الأساسية لهذه الجمهوريات في الآتي للمقارنة فيما بينهما ولتيسير النظرة الشاملة .

	المساحة ألف كم ٢	السكان بالمليون	نسبة السكان الأصليين ٪	نسبة الروس والأوكرانيين ٪	العاصمة	تاريخ الاحتلال الروسي
كازاخستان	٢٧١٧	٢٨	٣٣	٤٩	ألما آتا	١٨٤٦
قرغيزستان	١٩٨	٥	٤٠	٣٦	بشكك	١٨٧٦
طاجيكستان	١٤٣	٥	٥٦	١٣	دوشامبة	١٨٩٠
أوزبكستان	٤٤٧	٢٧	٦٥	١٣	طشقند	١٨٧٦
تركمانستان	٤٤٨	٥	٦٦	٢٣	غشق آباد	بداية القرن ١٩
	٣٩٩٣	٧٠	٪٥٠	٪٣٠		
			٣٥ العدد	٢١ العدد		

وقد كانت صعوبات في تجميع هذه المعلومات ، ذلك أن النظام الشيوعي الذي حكم هذه البلاد قرابة ثلاثة أرباع قرن تمثل جيلين من الناس كان يعتبر أي معلومات من الأسرار التي لا يجوز إشهارها حتى أننا عجزنا عن الحصول على خرائط جغرافية تفصيلية لهذه البلاد ، كما عانينا من

قلة البيانات وتضاربها بين مصدر وآخر حتى في مساحة الجمهوريات ، وهذا أيضًا مع التشكك في صدقها .

ومع ذلك ففي البيانات مؤشرات ذات دلالة ، فإن نسبة السكان الأصليين في مجموع هذه الجمهوريات لا تتجاوز ٥٠٪ من التعداد الإجمالي وفي بعضها يتدنى إلى ٣٣ ٪ و ٤٠ ٪ ، وحتى في حالة ما يكون لهم أغلبية فإنها أغلبية ضعيفة ، وأن نسبة الروس (والأوكرانيين) الذين يعيشون في هذه الجمهوريات الإسلامية بلغت في جملتها ٣٠ ٪ وبلغت في بعضها ٤٩ ٪ و٣٦ ٪ بما يعني أن السياسة السكانية العامة عمدت إلى تهجير الروس إلى الجمهوريات بكميات كبيرة جعلت السكان الأصليين في بعضها أقلية كما في كازاخستان ، وقرغيزستان ، كذلك تدل البيانات على أن الروس في هذه البلاد من سكان المدن ، وأن السكان الأصليين من البدو الرعاة كما في كازاخستان ، وطاجيكستان أو ريفيين كما في أوزبكستان ، وقرغيزستان ، وفي تركمانستان تحولوا من البداوة والرعي

إلى الريف والزراعة .

كما يلاحظ أن السياسة الروسية قد استعانت ببعضهم على بعض في هز نسبة السكان الأصليين إلى المجموع الكلي وذلك بتنقيلهم من مواطنهم فتقل نسبة الأصليين في بلادهم إلى مناطق أخرى فتقل نسبة الأصليين أيضًا في بلاد التهجير، ففي أوزبكستان مثلًا ٥ ٪ من التتار ، و١٧ ٪ من جمهوريات وسط آسيا الأخرى ، وفي قرغيزستان ١٤ ٪ من الجنسيات الأخرى بوسط آسيا ، وفي طاجيكستان ٢٣٪ من الأوزبك ، و٨ ٪ من الجمهوريات الأخرى ، وهو أمر قد استغرق وقتًا طويلًا ولكنه على أي حال كان متاحًا ، ولا ريب أنه أمر يسبب مشاكل بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وزوال السلطة التي فرضته .

إن هذه الجمهوريات جميعًا قد سقطت تحت الحكم الروسي تباعًا في القرن التاسع عشر ، ثم اعتبرت جمهوريات تأسيسية في الاتحاد السوفيتي في القرن العشرين حتى انفرط ذلك الاتحاد ، ومن هنا فإن التاريخ الروسي في

هذين القرنين وما قبلهما القريب هام لتبيان ما نحن بسببيله من نظر في تاريخ هذه الجمهوريات ويتداخل معه .

وموقف الإسلام الآن في روسيا وفي تلك الجمهوريات غامض إلى حد كبير حيث دأب الحكم الشيوعي على إخفاء البيانات الهامة ، وقد لاحظنا أنه حتى من بقي على إسلامه حتى اليوم فإن إسلامه يشُوبه عدم المعرفة بأحكام الإسلام وعلى ذلك فإن المسلمين يتناقصون عددًا ويزدادون سطحية في معرفة دينهم ، ويلقي هذا عِبئًا كبيرًا على المسلمين بالعالم الإسلامي ، ولا شك أنه من دواعي الغبطة والتقدير أن نرى دولة مثل الكويت المُسلمَة تمد يدها إلى إخواننا المسلمين في تلك الجمهوريات بإنشاء المساجد وترجمة الكتب التي تشرح الإسلام عقيدة وفقهًا وتاريخًا إلى لغاتها المحلية ، وكذا إنشاء إذاعات لأداء هذه الرسالة الجليلة التي ندعو اللّٰه أن يُثيب القائمين عليها خير الجزاء .

وفي هذا الوقت الذي بدأت تلك القبضة الحديدية المحلية تتراخى ضد الإسلام والمسلمين راحت إسرائيل

وأشباهها تتسارع إلى نهش أجزاء من الغنيمة ، وندعو المسلمين حُكامًا ومحكومين إلى جنة عرضها السماوات والأرض لحفظ دين اللّه على أولئك المسلمين .

ومن جانب آخر إلى الإخوة في تلك البلاد الذين يتطلعون إلى إخوانهم المسلمين فيما وراء حدودهم نقول : نريد أن نراكم جادين في التمسك بإسلامكم والرجوع الحق إليه ، فليس الأمر أمر مَغانم دنيوية ومشروعات تمول فحسب ولكن ما عند اللّه خير وأبقى ؛ وإنه لما يدهش المسلمين في العالم الإسلامي أن يجدوا بعضًا من هؤلاء وحكامهم مازالوا في صف التمسك بهلاهيل الشيوعية الملحدة التي أنزلت بآبائهم وأجدادهم ما أنزلت من أجل أنهم كانوا مسلمين ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ، ونؤكد لهم أنه على قدر ما يجد المسلمون في عالمهم اقترابًا منهم فسوف يلقون اقترابًا أكبر ، وصدق رسول اللّه ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه « ... ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذِراعًا ، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ... » .

لا تنسونا

من صالح دعاءكم

محب الحبيب

13-5-2010

الفهرس

رقم الإيداع
2005/21288
الترقيم الدولي I.S.B.N
977-342-335-2

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « **الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي وحتى اليوم** » ورغبة منا في تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

*** فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملاً : .... الوظيفة : ....

المؤهل الدراسي : .... السن : .... الدولة : ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب:..........

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

....

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

- هل صادفت أخطاء مطبعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

☐ لا يوجد ☐ نادرًا ☐ يوجد أخطاء مطبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ ....

....

....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

....

....

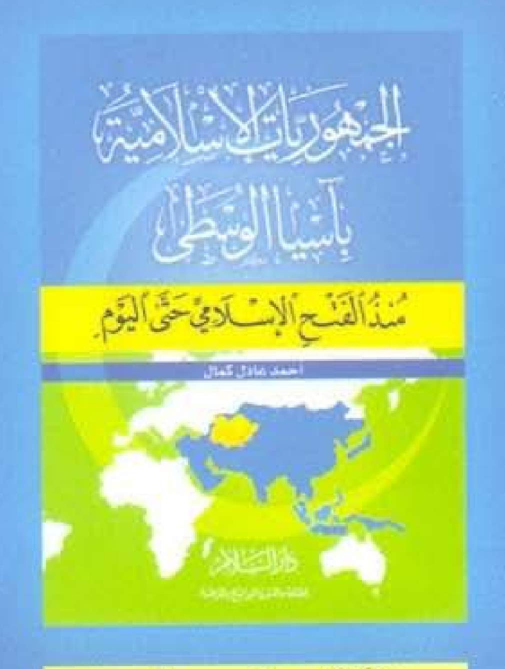
دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا



الكتاب في سطور

مرت الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز بحقب تاريخية طويلة ، ثم سقطت تحت الحكم الروسي تباعا في القرن التاسع عشر ، ثم اعتبرت جمهوريات تأسيسية في الاتحاد السوفيتي حتى انفراط عقد ذلك الاتحاد .

وتتابعت على المسلمين في تلك البلاد الأسباب التي جعلتهم لا يعرفون أحكام دينهم ، فأصبح إسلامهم سطحيًا .

ومن ثم فالمسلمون هناك في حاجة إلى من يمد لهم يد العون لنشر الإسلام وتثبيت دينهم في نفوسهم بشتى الوسائل من ترجمات للكتب الإسلامية ، وإنشاء للمساجد ، وإنشاء لإذاعات وقنوات إسلامية ، وغير ذلك .

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٥٩٣٢٨٢٠ - ٤٠٥٤٦٤٢
فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
email:info@dar-alsalam.com
www.dar-alsalam.com